الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

الوارث

٩٤

مجلة شهرية ثقافية دينية
تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

ISSN 2518-5624



فـــراقـــكِ أعـظـم الأشـياء عندي وفـــقـــدك فـــاطم أدهـــى الثكول

ســـأبـــكي حـــسرة وأنوح شجواً علـــى خِـــلّ مضـــى أسنـــى سبيل

ألا يـــا عين جـــودي وأسعـــديني فـــحـــزنـــي دائـم أبكـــي خليل

جمادى الأولى - جمادى الثاني ١٤٣٨هـ
شباط - آذار - ٢٠١٧م

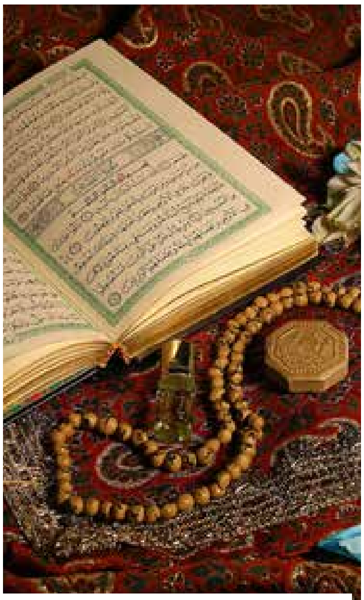
بسم الله الرحمن الرحيم

إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩-١٢١١
هاتف: ٣٢٦٤٩٩ - بدالة: ٣٢١٧٧٦ - داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم info@imamhussain-lib.org


٤- الإمام الحسين عليه السلام قتيل العَبرة



٦- مقامات فاطمة عليها السلام


١٠- تلازم القرآن مع ......


١٤- السيدة زينب عليها السلام مدرسة ...


٢١- صفات المؤمنين


٢٤- آيات العفو


٤٢- السلام عليك يا أبا الحجَة المنتظر


٤٦- الدعوة لإقامة الصلاة


٥٠- الوقت مخلوق عجيب



غضب فاطمة عليها السلام غضب اللّٰه تعالى

من مصاديق الشكر لله تعالى هو ذكر السيرة العطرة للعترة الطاهرة عليهم السلام، وحيث أنّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام هي أم العترة والحجة على أولادها البررة، حريّ بنا أن نقف على أفراحها وأحزانها لكي نكون ممن يفرح لفرح أهل البيت عليهم السلام ويحزن لحزنهم.

دلّت الروايات والسيرة الحياتية التي تعرضت لذكر سيدة النساء فاطمة عليها السلام على أنّ لها دوراً كبيراً ومهماً بعد وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ألا وهو الدفاع عن الحق، والدفاع عن الإمامة، ومناصرة الإمام؛ فهذا يقتضي أن تكون لها منزلة ورتبة لكي تستطيع القيام بهذا الدور الحساس والكبير، ودأب رسول الله صلى الله عليه وآله على بيان مقامها وعلو منزلتها ودرجة قدسيتها في كثير من المواطن وفي أكثر من حديث.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها». (المستدرك على الصحيحين:٣/ ١٥٨)

وقال صلى الله عليه وآله: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي مَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي يَرْضَى اللهُ لِرِضَاهَا وَيَغْضَبُ لِغَضَبِهَا وَهِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ».(إرشاد القلوب:٢/ ٢٣٣)

لماذا قدّم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قوله «يبسطني ما يبسطها» ولم يقل (يبسطها ما يبسطني)، وكذلك في قوله «يقبضني ما يقبضها»، أو قوله «من آذاها فقد آذاني»؟

بعد التأمل في الروايات الآنفة وغيرها يظهر لنا ما يلي:

١. لعل رسول الله صلى الله عليه وآله أراد الإشارة إلى أنّ ما يبسط فاطمة على وجه الخصوص يبسطه، وما يقبضها يقبضه، دون غيرها، وهذا عين الفضل والمنقبة لفاطمة عليها السلام وحدها.

٢. لو قال صلى الله عليه وآله وسلم (يبسطها ما يبسطني، ويقبضها ما يقبضني) فهذا أمر يشرك به جميع المسلمين، إذ أنهم يفرحون لفرح النبي، ويحزنون لحزنه، فهو أمر غير مختص بفاطمة عليها السلام فلا فضل لها في ذلك.

٣. يظهر من هذا القول: أنّ فرح النبي صلى الله عليه وآله وحزنه متوقف على فرح فاطمة عليها السلام وحزنها، لعلمه صلى الله عليه وآله أنّها لا تفرح ولا تحزن إلاّ بالحق لأنّها معصومة من اتباع الهوى ومن الزلل، والتصرف حين تغيّر المزاج.

٤. يظهر من قوله صلى الله عليه وآله وسلم أنّها ستكون ميزاناً لأفعال العباد، فمن يدخل السرور على فاطمة عليها السلام فهو ممن أدخل السرور على النبي صلى الله عليه وآله ومن أدخل السرور على النبي صلى الله عليه وآله نال رضا الله تعالى، ومن أدخل عليها الحزن يكون ممن أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وجزاءه غضب الله تعالى.

فتكون النتيجة: أنّ غضب فاطمة هو غضب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، ورضاها هو رضا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله.

المشرف العام



الإمام الحسين عليه السلام قتيل العَبرة

خلق الله تبارك وتعالى هذا الكون وهذه الحياة زوجين لأنّه هو الله الواحد القهار والوحدانية له فقط، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[الذاريات:٤٩]

كذلك الفكر والعقيدة والقيم أيضاً اثنان، وهذه سنّة إلهية أن لا واحد إلاّ الله، وكل وحدة إليه تعود.

وكربلاء واحدة متفرّدة في قيمها وعشقها وحيويتها، ولكنها الزوج الآخر للشريعة، تتفاعل فيها العقيدة مع العاطفة فينتج عمل نحو المطلق.

فلا صلاح بلا عقيدة ولا اندفاع بلا عاطفة، فكان النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وكان الحسين عليه السلام.

فالحسين عليه السلام ليس شخصاً تاريخياً، إنّه الإيمان بالفداء ونكران الذات، ولهذا أصبح اسم الحسين عليه السلام أغنية المجاهدين وأنشودة المظلومين، فشعّ نوره في سماء الدهر فكان محور الوجود المثالي، وكنهه سرّ لا يدرك إلاّ بالغيب المتعالي.

تشيخ الدهور وتنضب العصور ويمتد الزمن طويلاً ويبقى الحسين عليه السلام ومعه كربلاء غضاً نضيراً يزداد تألقاً وبهاءً.

إنّ وراء كل ذلك سبباً تهفو إليه الأرواح وتطمئن به القلوب ويرتاح عنده الضمير ويخلد العقل إلى بلوغ حقيقته وأنّى له ذلك.

إنّ للحسين عليه السلام حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً، إنّها حرارة تعشق الذي يصيّر (حب الحسين أجنّني) (اتمنى لو قتلت ثم أحرقت وفعل بي ذلك سبعين مرة وأدفع عنك القتل).

هذه الحرارة التي تخرج من الأنانية لتتحد مع الوجود، فلا وجود بلا حب الحسين عليه السلام.

وحيث الدمعة أثر لهذا العشق كان الحسين عليه السلام قتيل العَبرة، وأصبح البكاء عليه من عناصر الإيمان.

ولكل بكاء ودمع سبب، ومن أسبابه الحزن، ومنها



الفرحة، ومنها العشق وكم من عشق أبكى حتى أعمى، ومنها الفراق، ومنها معرفة الحق قال تعالى: ﴿ وَإذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إلَى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقّ... ﴾.[المائدة:٨٣]

ومنها الإيمان قال تعالى: ﴿ إذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا ﴾.[مريم:٥٨]

وقوله تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً ﴾.[الإسراء:١٠٩]

اجتمعت في الحسين عليه السلام كلّ أسباب الدمع والبكاء حتى أصبحت الجنّة رهينة الدمعة الحسينية، كل العيون باكية يوم القيامة إلاّ عين بكت على الحسين عليه السلام.

لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ بِقَتْلِ وَلَدِهَا الْحُسَيْنِ وَمَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنَ الْمِحَنِ بَكَتْ فَاطِمَةُ بُكَاءً شَدِيداً وَقَالَتْ: «يَا أَبَهْ مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ»، قَالَ: «فِي زَمَانٍ خَالٍ مِنِّي وَمِنْكِ وَمِنْ عَلِيٍّ»، فَاشْتَدَّ بُكَاؤُهَا وَقَالَتْ: «يَا أَبَهْ فَمَنْ يَبْكِي عَلَيْهِ وَمَنْ يَلْتَزِمُ بِإِقَامَةِ الْعَزَاءِ لَهُ؟»، فَقَالَ النَّبِيُّ: «يَا فَاطِمَةُ إِنَّ نِسَاءَ أُمَّتِي يَبْكُونَ عَلَى نِسَاءِ أَهْلِ بَيْتِي وَرِجَالَهُمْ يَبْكُونَ عَلَى رِجَالِ أَهْلِ بَيْتِي وَيُجَدِّدُونَ الْعَزَاءَ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَإِذَا كَانَ الْقِيَامَةُ تَشْفَعِينَ أَنْتِ لِلنِّسَاءِ وَأَنَا أَشْفَعُ لِلرِّجَالِ وَكُلُّ مَنْ بَكَى مِنْهُمْ عَلَى مُصَابِ الْحُسَيْنِ أَخَذْنَا بِيَدِهِ وَأَدْخَلْنَاهُ الْجَنَّةَ، يَا فَاطِمَةُ كُلُّ عَيْنٍ بَاكِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ عَيْنٌ بَكَتْ عَلَى مُصَابِ الْحُسَيْنِ فَإِنَّهَا ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ». (بحار الأنوار:٤٤/٢٩٣)

إنّ الحسين عليه السلام الذي جعل من البكاء قوة خلدَّت المذهب الشيعي رغم كل الملاحقات والتعديات، فإذا كانت السلطة قوة الدعم للمذاهب الأخرى فإنّ البكاء الحسيني قوة الدعم الشيعي عبر التاريخ.

وامتاز البكاء الحسيني أنّه ذو بعد تشريعي، حيث أكّدت الشريعة الإسلامية وأمرت بالبكاء على مصاب سيد الشهداء عليه السلام، فهذه الحالة الإنسانية الوجدانية التي تنساب مع الإنسان في حالاته التي تسببها قد أدخلتها الشريعة في مضمونها.



مقامات فاطمة عليها السلام

حجية الصديقة الزهراء عليها السلام في مقام الدفاع عن صدِّيق الأُمة أمير المؤمنين عليه السلام

شهدت الساعات الأولى من رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله صراعاً عنيفاً بين أجنحة التيارات الطامحة في الحكم، ولم يمر وقت قليل حتى تمت تصفية حسابات توزعت من خلالها مناصب الحكم لتتفق بعد ذلك على إقصاء الشرعية الإلهية المتمثلة في الإمام علي عليه السلام، ولم تكن هذه المراحل القاسية التي مرّت على الإمام سلام الله عليه باليسيرة، بل صاحبتها محاولات إرغام على البيعة عانى منها الإمام وأصحابه الأبرار شتّى الضغوط النفسية التي حاولت من خلالها مجموعة السقيفة أخذ إقرار ولو شكلي على تأييد محاولات البيعة المدّعاة ليكون الأمر بعد ذلك ممراً تحت غطاء الشرعية.

هكذا حاولت السقيفة إقناع عامة المسلمين، إلا أنّ ذلك لم يتم مع وجود فاطمة الزهراء عليها السلام وهي تتصدى لمحاولات الإرغام على البيعة التي تطال علياً عليه السلام وأصحابه وذلك لما تتمتع به عليها السلام من مقام الحجية المرتكز في نفوس المسلمين، إذ ما زالت ذاكرة المسلمين تسجّل ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يؤكّده في فاطمة عليها السلام من مقام شامخ وذكر عظيم.

فعن كتاب لأبي إسحاق الثعلبي عن مجاهد قال: (خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخذ بيد فاطمة وقال: «من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة منّي، وهي قلبي الذي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»). (الإصابة في معرفة الصحابة:٢/٥٧)

وعن جابر بن عبد الله قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ فاطمة شعرة منّي، فمن آذى شعرة منّي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله ملء السماوات والأرض»). (كشف الغمة:١/٤٦٧)

وقد فهم المسلمون اقتران أذى فاطمة عليها السلام بأذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالتالي هو أذى الله تعالى الذي يوجب اللعنة والعذاب الأليم.

إذ لا يتم ذلك إلا لمن كان له مقام الحجية الإلهية، وإلاّ لا يمكن أن يتم قوله صلى الله عليه وآله أن أذى فاطمة عليها السلام يعني أذاه الذي هو أذى الله تعالى، فإنّ ذلك دليل الحجية التي يتمتع بها مقام فاطمة من بين المسلمين.

لذا فلا يكون دخولها عليها السلام وسط الأحداث الملتهبة إلا إخماد لتلك النائرة التي أججتها طموحات القوم وأمانيهم مما أدى إلى إرباك خططهم وتداعي كل محاولة خارجة عن نطاق الشرعية.

الهجوم على دار الزهراء عليها السلام وصدها عليها السلام للباب

هناك شبهة حول خروج سيدة نساء العالمين من الدار إلى الباب مع وجود أمير المؤمنين علي عليه السلام؟

الجواب: الظاهر أن الخروج كان بعد ندائهم للإمام عليه السلام بالخروج وتهديدهم بحرق البيت ، فخروجها لم يكن لفتح الباب ولكن لردهم وصدهم عن ما قصدوا.

ومن الواضح الجلي أن بيت فاطمة عليها السلام كان يتمتع بحرمة قد شيدها القرآن الكريم لأهل البيت عليهم السلام وتعظيم وحث بالغ على مودتهم، مضافاً إلى تعظيم النبي صلى الله عليه وآله لحرمة بيت فاطمة وعلي عليهما السلام، حيث لم يكن يدخل هو نفسه صلى الله عليه وآله إلا بعد الاستئذان وطرق الباب ويقول: إن الله أمره بذلك.

فلم يرع عمر تلك الحرمة كما لم يرع أبو بكر ذلك حينما أمر بالكشف عن بيت فاطمة عليها السلام.

وموقف الزهراء عليها السلام نظير انتداب الله عز و جل مريم بنت عمران للقيام بمهمة لم ينتدب الله تعالى لها زكريا عليه السلام وهي كشف القناع عن دجل علماء اليهود من بني إسرائيل.

وصيتها عليها السلام

روى الشيخ المفيد أعلى الله مقامه بسنده عن علي بن الحسين عن أبيه الحسين عليهما السلام قال: «لما مرضت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله أوصت إلى علي صلوات الله عليه أن يكتم أمرها ويخفي خبرها ولا يؤذن أحداً بمرضها ففعل ذلك وكان يمرضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس رحمها الله على استسرار بذلك كما أوصت».(أمالي المفيد:٢٨١)

فشهادتها و دفنها ليلاً محطة مفعمة بالظلم والأسى وصارخة بالاعتراف على المتغلبين على أمر الخلافة، فسجلت بنحو بيّن لكل الأجيال الإدانة لحركة السقيفة ومسار الابتعاد عن أهل البيت عليهم السلام تبياناً منها لبطلان الأُسس والبنى التي أرسوا مسارهم عليها كدعوى الشورى وخوف الفتنة ودعوى العلم بالكتاب والسنة كما في قولها: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟».(السقيفة وفدك:١٤٢)

فرفعت اللوابس والحيرة الساترة على رؤية وبصيرة الأُمة التي أخذتها الفتنة الفكرية والسياسية المحتدمة فسنت بذلك سنة التولي والتبري العقيدي والسياسي في الأُمة الإسلامية.

خفاء قبر الزهراء عليها السلام دليل على انحراف الأمة

أرادت الزهراء عليها السلام حتى من إخفاء قبرها أن يكون سنداً ودليلاً على هذا الانحراف الجديد الذي طرأ في الأُمة، بل سيبقى لخفائه على مر العصور شاهداً آخر على مظلوميتها.

والملاحظ أنه حتى الأئمة عليهم السلام من ولدها لم يقوموا بالإفصاح عن موضع قبرها لئلا ينتقض الغرض المهم وراء إخفائه.

ومن قوة هذا الموقف ودلالته لم تستطع المصادر العديدة إخفاءه وطمسه حتى من صحيح البخاري، مما يدل على أنها رحلت عليها السلام من هذا العالم وهي مقاطعة لمشروع السقيفة وغاضبة على رجالها.

سؤال وجواب

السؤال: ما المقصود من قول الزهراء عليها السلام في عتابها لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا بن أبي طالب اشتملت شملة الجنين وقعدت حجرة الضنين، نقضت قادمة الأجدل فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافه قد ابتزني...».(أمالي الطوسي:٦٨٣)

الجواب: ما قالته عليها السلام للإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو من باب إياك أعني واسمعي يا جارة كما في ظاهر صورة عتاب الله لعيسى: ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾.[المائدة:١١٦]

مع أنّ النبي عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام لم يرتكب تقصيراً وإنما هو تعريض بالمحاسبة والعتب على قومه وكما في كثير من عتابات الله تعالى للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله في ظاهر خطاب القرآن مع أنه صلى الله عليه وآله ليس مقصوداً بالخطاب بل العتاب للأمة ولمن معه ولكنه أسلوب من أساليب الكلام التربوية، والغرض هو تبيان مظلوميتها وغصب حقها وحرجية موقف أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث كان قد أوصى إليه النبي صلى الله عليه وآله بالتزام الصبر على غصب الخلافة في حالة عدم وفاء الأُمة بالعهود المأخوذة عليها والزهراء عليها السلام كانت حاضرة في مجلس وصية النبي صلى الله عليه وآله بذلك لعلي عليه السلام فلم يكن ذلك مفاجئاً لها كي تتصوره موقفاً انفعالياً منها عليها السلام، بل هو نداءً للأجيال وصرخة في وجه الظلم والانحراف.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾. [الأعراف:١٥٠]

فقد شابهت محنة علي عليه السلام محنة هارون على نبيّنا وآله وعليه السلام وخذلان القوم لكل منهما واستخلاف النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام واستخلاف موسى لهارون على نبيّنا وآله وعليهما السلام كما شابه عتاب موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام لهارون عتاب فاطمة لعلي عليهما السلام في ظاهر الخطاب مع أن المراد حقيقة هو إبراز النفرة من ضلال القوم وخذلانهم لخليفة النبي صلى الله عليه وآله.

تحسس علماء أهل سنة الجماعة من أي سؤال حول ما تعرضت له الزهراء عليها السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه و آله

وهذا التحسس والقلق الزائد البالغ ذروته كاشف عن مدى خطورة مواقفها عليها السلام وموقعيتها في رسم المنهاج للأُمة وإضاءة طريق الحق في نظام دلائل الدين ومدى تأثير خطاها ومسارها في بناء مسار الدين للأُمة إلى يوم القيامة وأن رعيل الصحابة مهما كثر عدده وعدته لا ينهض أمام حجية موقفها.

ونظير هذا التحسس تجده حول تفاصيل مقاطعتها لجماعة السقيفة المعبر عن إدانتها لما قاموا به من غصب الخلافة ومصادرة مناصب النبي صلى الله عليه وآله والذي تمثل في عدة أساليب من وصيتها بإخفاء مرضها وتجهيزها والصلاة عليها ودفنها وإخفاء قبرها كعلامة أبدية مستمرة تصرخ بالأُمة لتوقظها من غفوتها لتصحو بعد ذلك وتعود إلى وعيها ورشدها حول حقيقة الحدث وما دار من وقائع.

معنى حديث «فاطمة حوراء إنسية»

يثار تساؤل حول معنى الحديث: هل أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في صدد بيان حقيقة وذات فاطمة عليها السلام من بعض جوانبها وهل هذا البعد الذي بينه يختلف عن الخلقة البشرية مع وجود اشتراك بينها وبين سائر نساء العالمين؟

والجواب: في الحقيقة إن التساؤل المثار في معنى الحديث يشابه التساؤل الذي يثار في حقيقة ذات النبي صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾. [الكهف: ١١٠]

من أن القرآن لم يقتصر على تصوير الجانب البشري من ذاته وشخصيته صلى الله عليه وآله بل ذكر الجوانب العلوية المعنوية أيضاً وهي مقام تلقي الوحي وهو جانب غيبي.

فالحديث في صدد بيان إحدى درجات ذات الزهراء عليها السلام وهي كونها ذاتاً حورية متصلة بذاتها البشرية ومن ثم كان يظهر لها جملة من الآثار والصفات المتميزة عن الذات البشرية كتحديث الملائكة لها ونزول جبرئيل عليها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وإن لم يكن بوحي نبوي بل بعلم لدني نظير ما وقع لمريم بل بدرجة تفوق ذلك وغيرها.



شبهة وجواب

روي عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله: «من آذى ذمياً فقد آذاني»، كما روي عنه صلى الله عليه و آله: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني»، فما هو وجه الفضيلة والشرف في الحديث الثاني؟

الجواب:

على تقدير صحة الحديث الأول الفرق بينهما واضح، حيث أنه في الحديث الأول قد أخذ عنوان الذمي بما هو معاهد أي أن انتهاك العهد الذي عقده النبي صلى الله عليه وآله وشرعه معهم انتهاك لذمته وعهده صلى الله عليه وآله، وهذا الأمر ثابت للذمي بهذه الحيثية لا مطلقاً، فلو خفر الذمي الذمة والعهد لما بقي له ذلك من لزوم الوفاء والعهد.

وهذا بخلاف الحديث الثاني فإنه قد أخذ عنوان فاطمة لذاتها من دون التقييد بحيثية معينة أو قيد خاص مما يدل على لزوم الحرمة والاحترام لها لذاتها مطلقاً وليس ذلك إلا لعصمتها وكونها ميزاناً مستقيماً في طريق الهدى وإلا لما ثبت ذلك لها بما هي هي لذاتها.

هذا مضافاً إلى ورود أحاديث في نفس المضمون ترتقي في أذيتها إلى أنها أذية الله تعالى وأن رضاها رضا الله تعالى وغضبها غضب الله تعالى مما يدل على عصمة ذاتها ومن ثم يلازم موقفها موقف الرب تعالى.

الشيخ محمد السند



فاطمة عليها السلام سرُّ النبوة

بعد أن التحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجوار ربه الكريم، كان امتداد رسالته وحفظ ذريته في الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، فهي وحدها أم الذرية الطاهرة، وهي أُمّ لصفوة المختارة، فكانت سر النبوة وسيدة نساء أهل الجنة، وسيدة نساء الأُمة وسيدة نساء الأولين والآخرين.

شرّفها الله تعالى بالمنازل الرفيعة، وفضّلها على نساء العالمين أجمع، بأن يرضى لرضاها ويغضب لغضبها، وهي المخلوقة التي لم تنتقل من الأصلاب إلى صلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل صارت في صلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فاكهة الجنة.

وهي أم الحسن والحسين الذي قال عنهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ إِمَامَانِ قَامَا أَوْ قَعَدَا». (علل الشرائع:١/٢١١)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَأَبُوهُمَا خَيْرٌ مِنْهُمَا». (صحيفة الإمام الرضا عليه السلام:٦٣)

وقد زوّجها من أعم العرب نسباً وشرفاً وشجاعة وعلماً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث جاء زواجها من سيد الوصيين صلوات الله وسلامه عليهما بأمر من الله تعالى فجاء في الحديث الشريف: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى جَبْرَئِيلَ زَوِّجِ النُّورَ مِنَ النُّورِ وَكَانَ الْوَلِيُّ اللهَ وَالْخَطِيبُ جَبْرَئِيلَ وَالْمُنَادِي مِيكَائِيلَ وَالدَّاعِي إِسْرَافِيلَ وَالنَّاثِرُ عَزْرَائِيلَ وَالشُّهُودُ مَلَائِكَةَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ ثُمَّ أَوْحَى إِلَى شَجَرَةِ طُوبَى أَنِ انْثُرِي مَا عَلَيْكِ فَنَثَرَتِ الدُّرَّ الأَبْيَضَ وَالْيَاقُوتَ الأَحْمَرَ وَالزَّبَرْجَدَ الأَخْضَرَ وَاللُّؤْلُؤَ الرَّطْبَ فَبَادَرْنَ الْحُورُ الْعِينَ يَلْتَقِطْنَ وَيَهْدِينَ بَعْضَهُنَّ إِلَى بَعْضٍ». (مناقب آل أبي طالب:٣/٣٤٧)

وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في حق جدّته الزهراء عليها السلام قوله: «إِنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام كَانَتْ تُكَنَّى أُمَّ أَبِيهَا». (بحار الأنوار:٤٣/١٩)

إنّها الحوراء الإنسية على هذه الأرض، لقد حملت هموم أبيها صلوات الله وسلامه عليهما دائماً، كما تحمل الأمّ هموم ولدها، فكانت عليها السلام أحبّ الخلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي روحه التي بين جنبيه.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم في حقها عليها السلام: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْهَا فَمَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ وَمَنْ آذَاهَا بَعْدَ مَوْتِي كَانَ كَمَنْ آذَاهَا فِي حَيَاتِي وَمَنْ آذَاهَا فِي حَيَاتِي كَانَ كَمَنْ آذَاهَا بَعْدَ مَوْتِي». (علل الشرائع:١/١٨٦)

إنّها فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم المرأة المحبّة لأبيها والمطيعة لزوجها والمربية لأولادها، فكانت العالمة التي فطمت بالعلم والمثل الأعلى للمرأة المستنيرة بسيرتها العطرة.

فحريّ بالنساء المسلمات أن تقتدي بنهج الزهراء عليها السلام البتول في عفتها وكرامتها وشجاعتها وعلمها وجهادها ضد الباطل وثباتها على الحق.

شعبة الدراسات والبحوث
محمد رزاق صالح



تلازم القرآن مع أهل البيت عليهم السلام

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأحاديث الشريفة والمستفيضة وقد اتّفق العلماء على بعضٍ منها واختلفوا في البعض الآخر.

ومن الأحاديث المتّفق عليها السلام عند الفريقين هو قوله صلى الله عليه وآله: «عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ». (أمالي الطوسي: ٤٦٠)

ومن المعلوم أنّ الأئمة عليهم السلام جميعاً نور واحد متشابهون في جميع الخصال والميّزات.

عَنْ زَيْدٍ الشَّحَّامِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللّٰه عليه السلام: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ الْحَسَنُ أَوِ الْحُسَيْنُ؟ قَالَ: «إِنَّ فَضْلَ أَوَّلِنَا يَلْحَقُ فَضْلَ آخِرِنَا وَفَضْلَ آخِرِنَا يَلْحَقُ فَضْلَ أَوَّلِنَا فَكُلٌّ لَهُ فَضْلٌ»، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَسِّعْ عَلَيَّ فِي الْجَوَابِ فَإِنِّي وَاللّٰه مَا أَسْأَلُكَ إِلَّا مُرْتَاداً، فَقَالَ: «نَحْنُ مِنْ شَجَرَةٍ بَرَأَنَا اللّٰه مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ فَضْلُنَا مِنَ اللّٰه وَعِلْمُنَا مِنْ عِنْدِ اللّٰه وَنَحْنُ أُمَنَاءُ اللّٰه عَلَى خَلْقِهِ وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ وَالْحُجَّابُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، أَزِيدُكَ يَا زَيْدُ؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «خَلْقُنَا وَاحِدٌ وَعِلْمُنَا وَاحِدٌ وَفَضْلُنَا وَاحِدٌ وَكُلُّنَا وَاحِدٌ عِنْدَ اللّٰه عَزَّ وَجَلَّ»، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعِدَّتِكُمْ؟ فَقَالَ: «نَحْنُ اثْنَا عَشَرَ هَكَذَا حَوْلَ عَرْشِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَزَّ فِي مُبْتَدَإِ خَلْقِنَا، أَوَّلُنَا مُحَمَّدٌ وَأَوْسَطُنَا مُحَمَّدٌ وَآخِرُنَا مُحَمَّدٌ». (غيبة النعماني: ٨٦)

فكما أنّ علياً عليه السلام مع الحق والحق مع علي، وعلي عليه السلام مع القرآن والقرآن مع علي، كذلك الحسين عليه السلام مع القرآن والحق وهما معه، والمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف مع القرآن والحق وهما معه، وهكذا.

فحياة الأئمة عليهم السلام وسلوكهم تجسّد للقرآن الكريم في حقيقته، فهم القرآن الناطق وهم عدل القرآن.

وقد عبّر عنهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالثقل الأصغر الذي خلّفه في الأمّة مع الثقل الأكبر الذي هو القرآن الكريم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ الثَّقَلَ الْأَكْبَرَ وَالثَّقَلَ الْأَصْغَرَ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَا تَضِلُّوا وَلَا تَبَدَّلُوا وَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَنْ لَا يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَأُعْطِيتُ ذَلِكَ»، قَالُوا: وَمَا الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ وَمَا الثَّقَلُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ كِتَابُ اللّٰه سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللّٰه وَسَبَبٌ طَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ وَالثَّقَلُ الْأَصْغَرُ عِتْرَتِي وَأَهْلُ بَيْتِي». (بصائر الدرجات: ١/٤١٤)

وفي قول آخر عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللّٰه وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ». (تحف العقول: ٤٥٩)

مما لا شكّ فيه أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى والوحي عبارة عن إدراك معنويّ بعالم الغيب وهو مختص بالأنبياء عليهم السلام حصراً، ويتم من خلاله تبيان الرسالة الإلهية.

فالوحي يحتاج إلى واسطة في بعض الأحيان (مثل الملائكة)، ويستغني عن الواسطة في أحيانٍ أخرى فيختلف المعنى الاصطلاحي للوحي عن معنيَي الإلهام والتحديث.

المعنى اللغوي للوحي

الوحي: هو إعلام سريع خفيّ، سواء أكان بإيماءة أم بهمسة أم بكتابة في سرّ، وكلّ ما ألقيته إلى غيرك في سرعة خاطفة حتى فَهِمه فهو وحيٌ. وأصل الوحي: الإشارة السريعة، ولتضمّن السرعة قيل: أمرٌ وحيٌّ (أي سريع)، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرّد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة. (مفردات ألفاظ القرآن:٨٥٨)

والوحي: يدلّ على إلقاء علم في إخفاء أو غيره، والوحي: الإشارة، والوحي: الكتاب والرسالة، وكلّ ما ألقيتَه إلى غيرك حتّى عَلِمَه فهووحي. (معجم مقاييس اللغة:٦/٩٣)

المعنى الاصطلاحي للوحي

عرّف الشيخ الطوسي الوحي بأنّه: (البيان الذي ليس بإيضاح، نحو الإشارة والدلالة، لأنّ كلام المَلَك كان للرسول صلى الله عليه وآله على هذا الوجه). (تفسير التبيان:٤/١٤٢)

وفي موضع آخر قال بأنّ: (الإيحاء إلقاء المعنى في النفس على وجه يخفى، وهو ما يجيء به من دون أن يرى ذلك غيره من الخلق). (تفسير التبيان:٥/٤٤٣)

ويتّضح من خلال التحديدين السابقين أنّهما ناظران إلى أكثر أنحاء الوحي وروداً في القرآن الكريم، وهو طريق وحي القرآن الكريم نفسه، عبر إرسال مَلَك، وهو جبرائيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾. [الشعراء:١٩٣-١٩٤]

وحدّد السيّد الطباطبائي الوحي بأنّه: (إلقاء المعنى بنحو يخفى على غير من قُصِدَ إفهامه). (تفسير الميزان:١٢/٤٩٢)

ويشمل هذا التحديد كلّ أنحاء الوحي، فيدخل فيه الوحي المباشر (بلا واسطة) والوحي غير المباشر (كالوحي بواسطة مَلَك)؛ وقد قرّر الأدب الديني في الإسلام أن لا يطلق الوحي على غير ما عند الأنبياء والرسل عليهم السلام من التكليم الإلهي. (تفسير الميزان:١٢/٤٩٨)

ولما كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد ساوى بين القرآن وهو كلام الله تعالى المنزل على قلب النبي صلى الله عليه وآله والعترة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فإنّ أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ينطبق عليهم ما ينطبق على القرآن الكريم بدليل التساوي بينهما.

فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم جاء منذراً بالقرآن الكريم وبيّن أنّ هذا القرآن ليس بمفرده بل مع أهل البيت عليهم السلام، فلن يفترقا إلى يوم القيامة حتى يردى على النبي صلى الله عليه وآله.

إذن هناك ملازمة بين القرآن الكريم وبين أهل البيت عليهم السلام ولا انفكاك بينهما أبداً.

فمن يأخذ بالقرآن دون أهل البيت عليهم السلام فهذا خلاف قول النبي صلى الله عليه وآله ومن يأخذ بأهل البيت عليهم السلام دون القرآن لا يرى الحقيقة كما هي.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَحْمَةُ الله عَلَيْه أَنَّهُ شَهِدَ الْمَوْسِمَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللّه صلى الله عليه وآله فَلَمَّا احْتَفَلَ النَّاسُ فِي الطَّوَافِ وَقَفَ بِبَابِ الْكَعْبَةِ وَأَخَذَ بِحَلْقَةِ الْبَابِ وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ - ثَلَاثاً وَاجْتَمَعُوا وَوَقَفُوا وَأَنْصَتُوا - فَقَالَ: مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ أُحَدِّثُكُمْ بِمَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللّه صلى الله عليه وآله سَمِعْتُهُ يَقُولُ حِينَ احْتُضِرَ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللّه وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ كَهَاتَيْنِ»، وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ الْمُسَبِّحَتَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَقَرَنَهُمَا وَسَاوَى بَيْنَهُمَا وَقَالَ: «وَلَا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ» وَقَرَنَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ الْوُسْطَى وَالْمُسَبِّحَةِ مِنْ يَدِه الْيُمْنَى، «لأَنَّ إِحْدَاهُمَا تَسْبِقُ الأُخْرَى أَلَا وَإِنَّ مَثَلَهُمَا فِيكُمْ مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَرَكَهَا غَرِقَ». (دعائم الإسلام:١/٢٨)

إنّ حديث النبي صلى الله عليه وآله سارٍ في جميع الأزمان من يوم خلق آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام وحتى يوم القيامة، فمن حديثه الشريف صلى الله عليه وآله يتبيّن ما يلي:

- الاستمساك بالقرآن والعترة عليهم السلام معاً هو سبيل النجاة.
- عدم افتراق القرآن الكريم والعترة النبوية الطاهرة عن بعضهما البعض.
- عدم تقدّم أحدهما على الآخر، وعدم أسبقية القرآن على العترة أو العترة على القرآن.

- ورود القرآن والعترة عليهما السلام على النبي معاً على الحوض.
- ضرب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله مثل سفينة نوح لتقريب المعنى للمسلمين.
- لما كان القرآن الكريم وحياً، فإنّ كلام العترة الطاهرة أيضا هو وحي إلهي، بدليل أنّهم نفس النبي «أولهم محمد وأوسطهم محمد وآخرهم محمد».

إنّ قصة نبي الله نوح على نبيّنا وآله وعليه السلام من القصص المعروفة والمشهورة وقد ذكر ما جرى على قوم نوح على نبيّنا وآله وعليه السلام من الغرق، حيث أغرق الله تعالى كل من كان خارج السفينة، التي صنعها، طيلة عمره. فلم ينجُ أحد من الغرق إلا من كان داخل السفينة، وكذلك لم ينجُ أحد من البشر إلا من استمسك بسفينة القرآن والعترة النبوية الطاهرة.

بعض التشابه بين القرآن والحسين عليه السلام

عصمة القرآن من الخطأ والزلل

لا شكّ أنّ القرآن الكريم بمنزلة كلام الله المجيد، وكلام الله تعالى ليس فيه خطأ ولا زلل ولا نسيان ولا شبهة وترديد وشك.

كذلك فإنّ الإمام المعصوم عليه السلام وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله هو معصوم عن الخطأ والزلل والنسيان والشبهة والترديد والشك وما شابه ذلك.

فوجه التشابه في العصمة بين القرآن والحسين عليه السلام واحد، إنّ القرآن كلام إلهي أنزل به الأمين جبرئيل عليه السلام على قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكلام الحسين عليه السلام كذلك ممنوع من الخطأ والنسيان والسهو، فبذلك يكون كلامه عليه السلام معصوماً عن الخطأ والزلل.

القرآن هدىً ورحمة

كما أنّ القرآن هدىً ورحمة للناس أجمعين كذلك الإمام المعصوم عليه السلام أيضاً هدىً ورحمة للعالمين.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾. [الأعراف:٥٢]

وقال عزّ وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾. [التوبة:٣٣]

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾. [يونس:٥٧]

وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾. [النحل:٨٩]



عندما خلق الله تبارك وتعالى الخلق أرسل الهداية أيضاً وذلك لحكمته ورحمته على البشر، فلم يجعله من دون هادٍ، فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان المنذر للناس وقد جاء بالقرآن الكريم الكتاب السماوي الذي جعله الله تبارك وتعالى هدىً ورحمة للناس.

هذا الكتاب السماوي فيه قوانين وتشريعات للتكامل البشري والسير نحو الأمام والتقدّم في العلوم، فهنا جاء دور الهادي ألا وهو الإمام المعصوم عليه السلام الذي خلّفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتطبيق هذه القوانين والأسس التشريعية ولهداية الناس، أي أن يأخذ بيد البشر إلى الحياة الأبدية.

فمن هنا تتبين علاقة الإمام الحسين عليه السلام بالقرآن وملازمته عليه السلام بكتاب الله عزّ وجل.

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ

تحكمون﴾.[يونس:٣٥]

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾. [النحل:٣٦]

وقال عزّ وجل: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾. [الرعد:٧]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٧١) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾. [الإسراء:٧١-٧٢]

فعن العباس بن هلال عن الرضا عليه السلام أن رجلاً أتى عبد الله بن الحسن فسأله عن الحج، فقال له: هذاك جعفر بن محمد قد نصب نفسه لهذا فاسأله، فأقبل الرجل إلى جعفر بن محمد عليه السلام فسأله فقال له: «لقد رأيتك واقفاً على عبد الله بن الحسن فما قال لك؟»، قال: سألته فأمرني أن آتيك وقال: هذاك جعفر بن محمد نصب نفسه لهذا، فقال جعفر بن محمد عليه السلام: «نعم أنا من الذين قال الله في كتابه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ سل عما شئت»، فسأله الرجل فأنبأه عن جميع ما سأله. (تفسير العياشي:١/٣٦٩)

عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: ﴿لَمَّا أُنْزِلَتْ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ قَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَسْتَ إِمَامَ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَجْمَعِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «أَنَا رَسُولُ اللهِ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ وَلَكِنْ سَيَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ عَلَى النَّاسِ مِنَ اللهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَقُومُونَ فِي النَّاسِ فَيُكَذِّبُونَهُمْ وَيَظْلِمُونَهُمْ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ وَأَشْيَاعُهُمْ أَلاَ فَمَنْ وَالاهُمْ وَاتَّبَعَهُمْ وَصَدَّقَهُمْ فَهُوَ مِنِّي وَمَعِي وَسَيَلْقَانِي، أَلاَ وَمَنْ ظَلَمَهُمْ وَأَعَانَ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَكَذَّبَهُمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلاَ مَعِي وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ». (المحاسن:١/١٥٥)

فهناك الكثير من الروايات المستفيضة والمتواترة بخصوص أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأنّ لرسول الله صلى الله عليه وآله خلفاء أئمة يهدون إلى الله وإلى الصلاح.

فالقرآن الكريم هو كلام الله عزّ وجل أرسله هادياً ورحمةً للبشرية، وكذلك المعصوم عليه السلام أيضاً هو الهادي والرحمة الإلهية للبشرية.

شفاعة القرآن الكريم

كما أنّ أهل البيت عليهم السلام لهم الشفاعة فهم يشفعون لشيعتهم ومواليهم ومحبيهم، كذلك القرآن له الشفاعة، فهو يشفع لقارئيه والعاملين بأوامره والتاركين لنواهيه والمنتهجين نهجه.

ذلك لأنّ أهل البيت عليهم السلام يأمرون بما أمر القرآن الكريم، وينهون عما نهى عنه القرآن كذلك.

فإذا كان التلازم بهذا القدر، فكيف لا يكون هناك شفاعة للقرآن ولأهل البيت عليهم السلام معاً، فمن عمل بالقرآن الكريم كأنّه عمل بما أراده أهل البيت عليهم السلام.

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كُلُّ شَيْءٍ مَرْدُودٌ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَالسُّنَّةِ وَكُلُّ حَدِيثٍ لاَ يُوَافِقُ كِتَابَ اللهِ فَهُوَ زُخْرُفٌ». (الكافي:١/٦٩)

وقد ورد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللهِ أنّه قال: قَالَ الصَّادِقُ جعفر بن محمد عليهما السلام: «إِذَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ حَدِيثَانِ مُخْتَلِفَانِ فَاعْرِضُوهُمَا عَلَى كِتَابِ اللهِ فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللهِ فَخُذُوهُ وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللهِ فَرُدُّوهُ». (وسائل الشيعة:٢٧/١١٨)

يتضّح مما ورد أنّ القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام متلازمان لا يفترقان عن بعضهما البعض، فمن أنكر أهل البيت عليهم السلام فقد أنكر القرآن ومن أنكر القرآن فقد أنكر أهل البيت عليهم السلام.

ليث الحيدري



السيدة زينب عليها السلام مدرسة الصبر والاستقامة

العلم من أفضل السجايا الإنسانية، وأشرف الصفات البشرية، به أكمل الله أنبياءه المرسلين، ورفع درجات عباده المخلصين، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.[المجادلة:١١]

وإنّما صار العلم بهذه المنزلة لأنّه يوصل صاحبه إلى معرفة الحقائق، ويكون سبباً لتوفيقه في نيل رضاء الخالق، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيته عليهم السلام يحثون الأمة على طلب العلم، وكانوا يغذّون أطفالهم العلم كما يغذّونهم اللبن.

أما السيدة زينب عليها السلام المتربية في مدينة العلم النبوي، المعتكفة بعده ببابها العلوي، المتغذية باللبان الفاطمي من أمها الصديقة الطاهرة سلام الله عليها، وقد طوت عمراً من الدهر مع الإمامين السبطين يزّقانها العلم زّقاً، فهي من عياب علم آل محمد عليهم السلام وعلى فضائلهم التي اعترف بها عدوهم الألد يزيد الطاغية بقوله في الإمام السجاد عليه السلام: (إنه من أهل بيت زقوا العلم زقاً).(بحار الأنوار:٤٥/١٣٨، باب٣٩، ح١)

وقد نصّ لها بهذه الكلمة ابن أخيها علي بن الحسين عليهما السلام: «أنتِ بحمد الله عالمة غير معلمة، وفهمة غير مفهمة».(الاحتجاج:٣٠٥)

وهذا اللقب منحها الإمام زين العابدين عليه السلام ووصفها به، وذلك حينما أراد تسليتها وتعزيتها وتكريمها وتزكيتها عليها السلام على مرأى من الناس ومسمع، ليعلمهم ما يلي:

أولاً: بالمقام الرفيع الذي وهبه الله تعالى لهذه السيدة الجليلة سلام الله عليها، وليهون من وقع المصائب العظيمة عليها.

ثانياً: فإن الإمام زين العابدين عليه السلام لما رأى عمته زينب عليها السلام وهي في أسرها تخطب على الجماهير المتجمعة من أهل الكوفة، الذين قد خرجوا للتفرج عليهم، والتفت إلى أنها عليها السلام قد استعادت في ذاكرتها كل المصائب العظيمة التي جرت عليها واستعرضت كل انتهاكات القوم أمام مخيلتها، خاف عليها أن تموت حسرة وغصة، فخاطبها قائلاً: «أنت بحمد الله عالمة غير معلمة، وفهمة غير مفهمة...».(فصل في خطبة زينب بنت

علي عليهما السلام)

ثم إنّه يمكن أن يستفاد من كلام الإمام السجاد عليه السلام المزبور في حق عمته زينب عليها السلام أُمورٌ منها:

أولاً

إنّ السيدة زينب عليها السلام كانت قد بلغت هذه المرتبة العظيمة والمقام الرفيع عند الله تعالى وأنّ مادة علمها من سنخ ما منح به رجالات بيتها الرفيع أفيض عليها إلهاماً، لا بتخرج على أستاذ وأخذ عن مشيخة، وإن كان الحصول على تلك القوة الربانية بسبب قابليتها وتهذيبات جدّها وأبيها وأُمها وأخويها، ولانتمائها إليهم واتحادها معهم في الطينة، فأزيحت عنها بذلك الموانع المادية، وبقي مقتضى اللطف الفياض الإلهي وحده وإذ كان لا يتطرقه البخل بتمام معانيه عادت العلة لإفاضة العلم كله عليها بقدر استعدادها تامة، فأفيض عليها بأجمعه، سوى ما اختص به أئمة الدين عليهم السلام من العلم المخصوص بمقامهم الأسمى. ولولا ذلك لما نعتها ابن أخيها الإمام السجاد عليه السلام وهو معصوم بهذا النعت، ولما وصفها بهذه الصفة.

ثانياً

إنّ الإمام السجاد عليه السلام أراد بكلامه المذكور في حق عمته زينب عليها السلام بيان شأنها وإظهار عظمتها.

ثالثاً

إنّ الإمام عليه السلام أراد أن يشكر عمته زينب عليها السلام بكلامه هذا، على ما أسدته عليها السلام إليه في كربلاء من خدمة كبرى حيث رأته يجود بنفسه من عظم المصاب فعزته بمصابه وصبرته عليه، فقام عليه السلام في الكوفة بعمل مماثل لما قامت به عليها السلام تجاهه، إضافة إلى من أهم الكمالات النفسية، والمقامات الإنسانية، هو مقام العلم، فإن العلم هو قمة كل شرف، وأفضل كل الملكات، وغذاء الروح، وبه استمرار الحياة المعنوية، وشرفه ذاتي، وهذا ما لا يستطيع أحد إنكاره، إذ علو مقام العلم لا يخفى على أحد.

فإنّ العلم على قسمين: اكتسابي وموهوبي، وبعبارة أخرى: تحصيلي ولدنّي.

الاكتسابي والتحصيلي

أمّا الاكتسابي والتحصيلي فهو أن يسعى الإنسان في طلب العلم ويجّد في تحصيله، وبقدر سعيه وجدّه يستطيع الإنسان أن ينال من درجات العلم وينتفع من بركاته.

الموهوبي واللدني

أما الموهوبي واللدنّي فهو العلم الذي يمنحه الله تعالى خالق الإنسان بعض عباده ممن له أهلية ذلك، ويقذفه في قلب من هو كفو لها، وذلك من غير تجشم عناء التعليم، ولا تحمل أتعاب التحصيل، فبعض يلهمه الله تعالى العلم إلهاماً غيبياً ومن دون واسطة، وبعض يلهمه بواسطة الملائكة ويريه الملائكة أيضاً ويسمى بالوحي، وبعض لا يريه الملائكة ويسمى هذا الذي يوحى إليه بواسطة الملائكة ولا يرى الملائكة بالمحدّث، ولكل مقام خاص ودرجة خاصة تتفاوت رفعة وعلواً.

والحصول على هذه المقامات الرفيعة من العلم اللّدني صعب جداً، ولا يتسنى لأحد من الناس الوصول إليها إلاّ للأنبياء والرسل، والأوصياء والأولياء.

ثم إنّ الأنبياء والرسل والأوصياء والأولياء الذين هم وحدهم المختصّون بالعلم اللّدني يكونون بالنسبة إلى هذا العلم على درجات، فمنهم من قد حاز على درجة منه، ومنهم على درجتين، ومنهم على ثلاث درجات، والذي قد حاز على كامل الدرجات وأعلى المراتب، هو أكمل المخلوقات، وأشرف الكائنات، سيد الأنبياء وأشرف المرسلين، حبيب إله العالمين، محمد وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

والسيدة زينب عليها السلام هي من هذا البيت الرفيع: بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومعدن العلم، وأهل بيت الوحي، فلا عجب أن تكون قد نالت درجة الإلهام فهي إذن ملهمة بصريح كلام ابن أخيها الإمام السجاد عليه السلام حين قال لها: «يا عمة... أنت بحمد الله عالمة غير معلمة»، إذ لا يكون العلم بلا تعلّم إلا عن طريق الإلهام.

وقد ظهر من السيدة زينب عليها السلام ما يدل على علمها وفهمها وذلك في مواقع ومواقف:

ما كان منها عليها السلام حينما كانت حاضرة عند أبيها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقد أجلس العباس عليه السلام وهو صبي في حجره وقال له: قل واحد. فقال: واحد. فقال له: قل اثنين، فامتنع وقال: إني استحيي أن أقول اثنين بلسان قلت به واحداً، وهنا التفتت زينب عليها السلام إلى أبيها وكانت هي أيضاً صغيرة وقالت: أتحبنا يا أبه؟ فأجابها أمير المؤمنين عليه السلام برأفة: بلى يا بنية. فقالت: لا

يجتمع حبان في قلب مؤمن حب الله وحب الأولاد، وإن كان ولابد فالحب لله تعالى والشفقة للأولاد، فأعجبه عليه السلام كلامها وزاد في حبه وعطفه عليها. (مقتل الحسين للخوارزمي:١/١٧٩. مستدرك الوسائل:١٥/٢١٥)

وإذا تأمّل هذا الكلام المتأمل رأى فيه علماً جماً، فإذا عرف صدوره من طفلة كزينب عليها السلام يوم ذاك، بانت له منزلتها في العلم والمعرفة.

وما كان منها في زمن أبيها أمير المؤمنين عليه السلام من مجلس درسها في الكوفة، فقد جاء في بعض المصادر أنها عليها السلام كانت تدير في بيتها أيام خلافة أبيها أمير المؤمنين عليه السلام الظاهرية في الكوفة مجلساً نسائياً يحضره نساء أهل الكوفة تفسّر لهن فيه القرآن، وقد كان درسها في أحد الأيام تفسير قوله تعالى ﴿ كهيعص ﴾. (مريم:١)

وفي الأثناء دخل عليها أمير المؤمنين عليه السلام واطلع على موضوع تفسيرها، فقال لها بعد ذلك: نور عيني زينب سمعتك تفسّرين قوله تعالى: ﴿ كهيعص ﴾ للنساء، فقالت: نعم يا أبه فدتك ابنتك. فقال لها: يا نور عيني إن هذه الآية الكريمة ترمز إلى المصائب التي سوف ترد عليكم أهل البيت.

ثم ذكر لها بعض ما سيجري عليهم من المصائب والرزايا فضجت السيدة زينب عليها السلام بالصراخ والعويل وأجهشت بالبكاء والنحيب، وهذا منها عليها السلام مع أنه كان فقط تذكاراً لعلمها بما سيجري عليهم، يدل على عظم المصاب وشدة وقعه، فكيف بها عليها السلام وهي تواجه كل تلك المصائب العظيمة والرزايا الجليلة وجهاً بوجه.

وما كان منها: في نيابتها الخاصة عن الحسين عليه السلام حيث كان الناس يرجعون إليها في الحلال والحرام حتى برئ زين العابدين عليه السلام من مرضه، كما رواه الصدوق محمد بن بابويه.

وما كان منها عليها السلام: عندما مروا بالأسرى على قتلاهن، فإنها عليها السلام صاحت من بين كل السبايا قائلة: «يا محمداه! هذا حسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطّع الأعضاء، وبناتك سبايا، وذريتك مقتّلة»، فأبكت كل عدو و صديق حتى جرت دموع الخيل على حوافرها، ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدس ورفعته نحو السماء وقالت: «إلهي تقبل منا هذا القربان». (الكبريت الأحمر:١٣/٣)

وهذا ما لا يستطيع قوله إلا مثل زينب عليها السلام العالمة غير المعلمة، والتي كانت قد تعهدت لله تبارك وتعالى أن تشارك نهضة أخيها الإمام الحسين عليه السلام وتكون معه جنباً إلى جنب:

وتشاطرت هي والحسين بدعوة
حتم القضاء عليهما أن يندبا
هذا بمشتبك النصول وهذه في
حيث معترك المكاره في السبا

وما كان منها عليها السلام: عندما رأت ابن أخيها الإمام السجاد عليه السلام ـ وهو إمام الصبر ومعلمه ـ يجود بنفسه لما نظر إلى أهله كالأضاحي مجزرين وبينهم ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله بحالة تنفطر لها السماوات، وتنشق الأرض، وتخر منه الجبال هدّاً، فقالت له تسلّيه وتصّبره قائلة: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي و إخوتي، فوالله إن هذا لعهد من الله إلى جدّك و أبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات، أنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطّعة، والجسوم المضرّجة، فيوارونها، وينصبون بهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيد الشهداء، لا يدرس أثره، ولا يمحى رسمه، على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر، وأشياع الضلال في محوه و تطميسه، فلا يزداد إلا علواً. (كامل الزيارات:٢٦١)

وقد تحقق كل ما قالته عليها السلام مع أنها أمور غيبية لا يطلع عليها أحد إلا من كان ملهماً من الله تعالى.

وما كان منها: ما أشار إليه الفاضل الدربندي وغيره: أنها عليها السلام كانت تعلم علم المنايا والبلايا، بل جزم في (أسراره) أنها صلوات الله عليها أفضل من مريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم وغيرهما من فضليات النساء، ومن نظر في (أسرار الشهادة) رأى فيه من الاستنباطات والتحقيقات في حق زينب صلوات الله عليها ما هو أكثر بكثير.

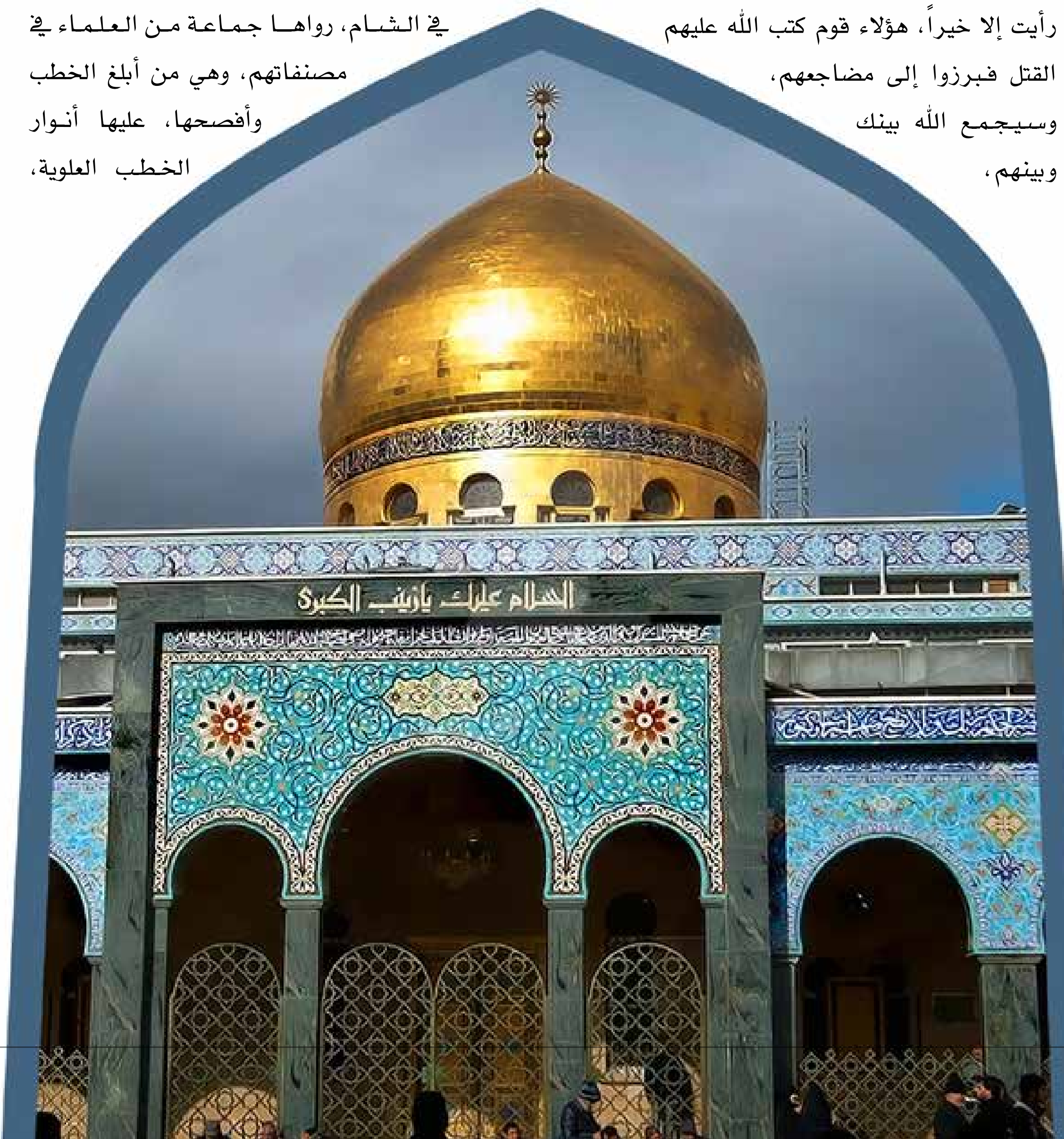
صفوان جمال الدين

قبسات من بلاغة السيدة زينب عليها السلام

ما ظهر منها عليها السلام في مجلس ابن زياد

قال السيد ابن طاووس وغيره ممن كتب في مقتل الحسين عليه السلام: إن ابن زياد جلس في القصر وأذن إذناً عاماً، وجيء برأس الحسين عليه السلام فوضع بين يديه، وأدخلت عليه نساء الحسين وصبيانه، وجاءت زينب ابنة علي عليهما السلام وجلست متنكرة، فسأل ابن زياد من هذه المتنكرة؟ فقيل له: هذه زينب ابنة علي، فأقبل عليها فقال: الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أحدوثتكم. فقالت عليها السلام: «إنما يفتضح الفاجر ويكذب الفاسق، وهو غيرنا»، فقال: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت: «ما رأيت إلا خيراً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ، ثكلتك أُمك يا بن مرجانة»؛ فغضب اللعين وهم أن يضربها، فقال له عمرو بن حريث: إنها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها، فقال لها ابن زياد لعنه الله، لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك؛ فقالت: «لعمري لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن كان هذا شفاؤك فلقد اشتفيت»؛ فقال لعنه الله: هذه سجاعة، ولعمري لقد كان أبوها سجاعاً شاعراً، فقالت: «يا بن زياد، ما للمرأة والسجاعة، وإن لي عن السجاعة لشغلا».

ومن ذلك: خطبتها في مجلس يزيد بن معاوية في الشام، رواها جماعة من العلماء في مصنفاتهم، وهي من أبلغ الخطب وأفصحها، عليها أنوار الخطب العلوية،



وأسـرار الخطبة الفاطمية، ونحـن ننقلها هنا من الاحتجاج للطبرسي؛ قال: روى شيخ صدوق من مشائخ بني هاشم وغيره من الناس: أنه لما دخل علي بن الحسين عليهما السلام وحرمه على يزيد وجيء برأس الحسين عليه السلام ووضع بين يديه في طشت، وجعل يضرب ثناياه بمخصرة كانت في يده وهو يقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهـلـوا واسـتـهـلـوا فـرحـاً
ثـم قـالـوا يـا يـزيـد لا تشل
لـعـبـت هـاشـم بـالـملـك فلا
خـبـر جـاء ولا وحـي نـزل

فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب، وأُمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقالت: «الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾.[الروم:١٠] أظننت يا يزيد - حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأُسراء - أن بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة، وأن ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، تضرب أصدريك فرحاً، وتنفض مذوريك مرحاً، جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلا، أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾. [آل عمران:١٧٨] أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي، وكيف يرتجى مراقبة ابن من لفظ فوه أكباد الأذكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء؟! وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن، والإحن والأضغان؟! ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهـلـوا واسـتـهـلـوا فـرحـاً
ثـم قـالـوا يـا
يـزيـد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله - سيد شباب أهل الجنة - تنكثها بمخصرتك، وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة، بإراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم، فلتردن وشيكاً موردهم، ولتودن أنك شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت، وفعلت ما فعلت، اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا، فوالله يا يزيد ما فريت إلا جلدك، ولا حززت إلا لحمك، ولتردن على رسول الله صلى الله عليه وآله بما تحملت من دماء ذريته، وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته، حيث يجمع الله تعالى شملهم، ويلم شعثهم، ويأخذ بحقهم ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. [آل عمران:١٦٩] وحسبك بالله حاكماً، وبمحمد صلى الله عليه وآله خصيماً، وبجبرائيل ظهيراً، وسيعلم من سول لك وأمكنك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلاً، وأيكم شر مكاناً وأضعف جنداً، ولئن جرت عليَّ الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك، وأستعظم

تقريعك، وأستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى، ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، والأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل، وتعفرها أمهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلا ما قدمت يداك، وما ربك بظلام للعبيد، وإلى الله المشتكى، وعليه المعول، فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا تدحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله رب العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

فقال يزيد:

يا صيحة تحمد من صائح

ما أهون النوح على النوائح

ومن شجاعتها الأدبية في مجلس يزيد: ما نقله أرباب المقاتل وغيرهم من رواة الأخبار: أن يزيد لعنه الله دعى بنساء أهل البيت والصبيان فأُجلسوا بين يديه في مجلسه المشؤوم، فنظر شامي إلى فاطمة بنت الحسين، فقام إلى يزيد وقال: يا أمير هب لي هذه الجارية تكون خادمة عندي، قالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام: فارتعدت فرائصي، وظننت أن ذلك جائز لهم، فأخذت بثياب عمتي زينب، فقلت: عمتاه أوتمت وأُستخدم، فقالت عمتي للشامي: «كذبت والله ولؤمت، ما جعل الله ذلك لك ولا لأميرك»، فغضب يزيد وقال: كذبت والله، إن ذلك لي، ولو شئت أن أفعل لفعلت، قالت: «كلا والله ما جعل الله ذلك لك، إلاّ أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا»، فاستطار يزيد غضباً وقال: إياي تستقبلين بهذا الكلام، إنما خرج من الدين أبوك وأخوك، فقالت زينب: «بدين أبي وأخي اهتديت أنت وأبوك وجدك إن كنت مسلماً»، قال: كذبت يا عدوة الله، قالت: «يا يزيد أنت أمير تشتم ظالماً، وتقهر بسلطانك»، فكأنه استحيى وسكت، فأعاد الشامي كلامه: هب لي هذه الجارية، فقال له يزيد: اسكت وهب الله لك حتفاً قاضياً.

وروى السيد ابن طاووس في اللهوف هذه الرواية كما يأتي: قال نظر رجل من أهل الشام إلى فاطمة بنت الحسين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية، فقالت فاطمة لعمتها زينب عليها السلام: أوتمت وأُستخدم، فقالت زينب عليها السلام: «لا ولا كرامة لهذا الفاسق»، فقال الشامي: من هذه الجارية؟ فقال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسين، وتلك زينب بنت علي بن أبي طالب، فقال الشامي، الحسين بن فاطمة، وعلي بن أبي طالب؟

قال: نعم، فقال الشامي: لعنك الله يا يزيد، أتقتل عترة نبيك وتسبي ذريته، والله ما توهمت إلاّ أنهم سبي الروم، فقال يزيد: لألحقنك بهم، ثم أمر به فضربت عنقه.

والذي يظهر أن هاتين القضيتين كلتيهما وقعتا في ذلك المجلس المشؤوم.

بلاغتها عليها السلام

إن بلاغة السيدة زينب عليها السلام وشجاعتها الأدبية ليس من الأمور الخفية، وقد اعترف بها كل من كتب في وقعة الطف بكربلاء، ونوه بجلالتها أكثر أرباب التاريخ. ولعمري إن من كان أبوها علي بن أبي طالب، الذي ملأت خطبه العالم، وتصدى لجمعها وتدوينها

أكابر العلماء، وأُمها فاطمة الزهراء، صاحبة خطبة فدك الكبرى، وصاحبة الخطبة الصغرى التي ألقتها على مسامع نساء قريش ونقلها النساء لرجالهن، نعم، إنَّ من كانت كذلك فحرية بأن تكون بهذه الفصاحة والبلاغة، وأن تكون لها هذه الشجاعة الأدبية، والقوّة العلوية؛ ويزيد الطاغية يوم ذاك هو السلطان الأعظم، والخليفة الظاهري على عامة بلاد الإسلام، تؤدي له الجزية الفرق المختلفة والأُمم المتباينة، في مجلسه الذي أظهر فيه أبهة الملك، وملأه بهيبة السلطان، وقد جردت على رأسه السيوف، واصطفت حوله الجلاوزة، وهو وأتباعه على كراسي الذهب والفضة، وتحت أرجلهم الفرش من الديباج والحرير.

وهي صلوات الله عليها في الأسر، دامية القلب باكية الطرف، حرّى الفؤاد من تلك الذكريات المؤلمة والكوارث القاتلة، قد أحاط بها أعداؤها من كل جهة، ودار عليها حسادها من كل صوب.

ومع ذلك كله ترمز للحق بالحق، وللفضيلة بالفضيلة، فتقول ليزيد – غير مكترثة بهيبة ملكه، ولا معتنية بأبهة سلطانه –: «أمن العدل يا بن الطلقاء»، وتقول له أيضاً: «ولئن جرت عليَّ الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك».

وما أبدع ما قاله الشاعر السيد مهدي ابن السيد داود الحلي، في وصف فصاحتها وبلاغتها من قصيدة:

قد أسروا من خصها بآية
التطهير رب العرش في كتابه
إن أُلبست في الأسر ثوب مذلة
تجملت للعز في أثوابه
ما خطبت إلاّ رأوا لسانها
أمضى من الصمصام في خطابه
وجلببت في أسرها آسرها
عاراً رأى الصغار في جلبابه
والفصحاء شاهدوا كلامها
مقال خير الرسل في صوابه

دروس من السيدة عليها السلام

لقد شاهدت السيدة عليها السلام في مجلس يزيد مشاهد وقضايا، وسمعت من يزيد كلمات تعتبر من أشد الإهانة والاستخفاف بالمقدسات وأقبح أشكال الاستهزاء بالمعتقدات الدينية وأبشع مظاهر الدناءة واللؤم.. في تصرفاته الحاقدة.

مظاهر وكلمات ينكشف منها إلحاد يزيد وزندقته وإنكاره لأهم المعتقدات الإسلامية.

فضلاً عن أنّ ابن آكلة الأكباد لم يكتفِ بذلك لبغضه قام بجريمة كبرى وهي أنه وضع رأس سيد شباب أهل الجنة الإمام السبط الشهيد الغريب عليه الصلاة والسلام أمامه وقام يضربه بالعصا على شفتيه وأسنانه -وهو حينذاك يشرب الخمر.

كيف تسكت عليها السلام وهي تعلم أن بإمكانها أن تغير تلك الأباطيل والدعاوى، لأنّها مسلحة بسلاح المنطق المفحم، والدليل القاطع،وقدرة البيان وقوة الحجة.

هنا التكليف الشرعي فرض عليها أن تكشف الغطاء عن الحقائق المخفية عن الحاضرين في ذلك المجلس و(بصورة أوضح لا يوجد رجل في المجلس حتى يقول كلمة حق فتكلمت بعد أن رأت السيدة عليها السلام أنّ هؤلاء أشباه الرجال وليس برجال) وفي الوقت نفسه كان مجلس يزيد لعنه الله يحتوي على شخصيات عسكرية ومدنية، وعلى شتى طبقات الناس، لكن للأسف كان الهدوء يعم عليهم فلم يغيروا ساكناً.

فقد انخدعوا بالدعايات الأُموية وجعلت على أعينهم أنواعاً من الغشاوة، فصاروا لا يعرفوا الحق من الباطل منذ أربعين سنة طيلة حكم معاوية لعنه الله ولعن أباه وولده، فعلامات البهجة والسرور تبدو على الوجوه بسبب انتصار السلطة الظالمة على عصابة عرفتهم أجهزة الدعاية الأُموية بصورة مشوهة.

وهنا قامت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله وانتهزت هذه الفرصة وتجازف بحياتها في سبيل الله عزّ وجل تحت عنوان اعرفوا الحق تعرفوا أهله واعرفوا الباطل تعرفوا أهله، وقد قلبت الأمر على يزيد لعنه الله.

بقلم: حسين الشاكري



صفات المؤمنين

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ، وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ». (نهج البلاغة:٢٥)

أن يكون المؤمن بشرُهُ في وجهه والابتسامة على وجهه دائماً هي من الأُمور المحببة لدى البشر، أشار أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى ذلك وهي إحدى صفات المؤمن والموالي لأئمة أهل البيت عليهم السلام.

لا يهتم الإنسان عادة بالضحك كثيراً، بل ولا يعتبرها من الأُمور المهمة وهو بمقاييسه الضعيفة يعدّها من الأمور البسيطة، وفي بعض الأحيان يعتبرها من الأمور التي لا تضر ولا تنفع في زماننا هذا.

ولا شكّ أنّ كلام المعصوم هو سارٍ في كل زمان، منذ خُلق آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام حتى يوم القيامة.

فمن الأمور الخفيفة في ميزان أعمال الإنسان هي الابتسامة والاستبشار ترتسم على وجهه، لكنّ هذه الابتسامة البسيطة هي من الأمور المهمة عند الله تعالى، لأنه عزّ وجل تختلف موازينه عن موازين البشر. فهو العالم بالغيب وحقائق الأمور وأبعادها وآثارها جل جلاله، في حين أنّ أكثر البشر يبحثون عن الحقائق القريبة والسريعة والآنية.

لأنّ ابتسامة المؤمن بلا شكّ تؤدّي إلى إدخال السرور على قلب المؤمنين، وهي مما سمعناه عن الأئمة المعصومين عليهم السلام.

فعن الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام في باب حق النفوس قال: «...احْرِصُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَيْهِمْ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ الْفَرَائِضِ أَفْضَلَ مِنْ إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ...». (تفسير الإمام الرضا عليه السلام:٣٣٩)

ولا يخفى أنّ المؤمن قبل أن يُدخل السرور على إخوانه المؤمنين عليه أن يسرّ عياله وأهل بيته، فهم أولى بإدخال السرور والفرح على قلوبهم.

الحزن المحمود

ومما جاء في الحديث السابق قوله عليه السلام «حُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ» ليس حزن المؤمن على الدنيا وما فيها، بل حزنه على ما فرّط في جنب الله تعالى.

إنّ الله تبارك وتعالى خلق الإنسان ليس للمذات



الدنيا بل للحياة الأبدية في دار المقام في جنة الخلد،

من هنا يتضّح أنّ قول الإمام سلام الله عليه «حزنه في قلبه» ليس المقصود الهم والحزن من جرّاء الأمور الدنيوية والقضايا المادية.

فالحزنُ منهيٌّ عنهُ في أماكن كثيرة في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾.[آل عمران:١٣٩]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾.[الحجر:٨٨]

وفي موضعٍ آخر: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾.[التوبة:٤٠]

والمنفيّ عن الحزن كقوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[يونس:٦٢]

فالحزنُ خُمودٌ لجذْوَة الطلب، وهُمودٌ لروحِ الهِمّةِ، وبرودٌ في النفس، وهو حُمّى تشلُّ جِسْمَ الحياة.

وسرُّ ذلك: أن الحزن مُوَقِّفٌ غير مُسَيِّر، ولا مصلحة فيه للقلب، وأحبُّ شيءٍ إلى الشيطان: أن يُحْزِن العبد ليقطعهُ عن طريقه، ويوقفه عن سلوكه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.[المجادلة:١٠]

وحُزْنُ المؤمنِ غيرُ مطلوبٍ ولا مرغوبٍ فيه لأنّهُ من الأذى الذي يصيبُ النفس، ويجب التغلب عليه بالوسائلِ المشروعة.

والحُزْن المحمود إنْ حُمِدَ بَعْدَ وقوعه وهو ما كان سببُه فوْت طاعة، أو وقوع معصيةٍ فإنّ حُزْنَ العبد على تقصيرهِ مع ربّه وتفريطه في جَنْبِ مولاه دليلٌ على حياته وقبُولِه الهداية، ونورِه وهدايته.

عن الإمام جعفر بن محمد الصّادق عليه السلام قال: «الْحُزْنُ مِنْ شِعَارِ الْعَارِفِينَ لِكَثْرَةِ وَارِدَاتِ الْغَيْبِ عَلَى سَرَائِرِهِمْ، وَطُولِ مُبَاهَاتِهِمْ تَحْتَ سِتْرِ الْكِبْرِيَاءِ وَالْمَحْزُونُ ظَاهِرُهُ قَبْضٌ وَبَاطِنُهُ بَسْطٌ يَعِيشُ مَعَ الْخَلْقِ عَيْشَ الْمَرْضَى وَمَعَ اللهِ عَيْشَ الْقُرْبَى وَالْمَحْزُونُ غَيْرُ الْمُتَفَكِّرِ لِأَنَّ الْمُتَفَكِّرَ مُتَكَلِّفٌ وَالْمَحْزُونُ مَطْبُوعٌ وَالْحُزْنُ يَبْدُو مِنَ الْبَاطِنِ وَالتَّفَكُّرُ يَبْدُو مِنْ رُؤْيَةِ الْمُحْدَثَاتِ وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ يَعْقُوبَ عليه السلام ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ فَبِسَبَبِ مَا تَحْتَ الْحُزْنِ عِلْمٌ خُصَّ بِهِ مِنَ اللهِ دُونَ الْعَالَمِينَ».(مصباح الشريعة:١٨٧)

وقال عليه السلام: «قِيلَ لِرَبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ مَا لَكَ مَحْزُونٌ؟ قَالَ: لِأَنِّي مَطْلُوبٌ وَيَمِينُ الْحُزْنِ الِانْكِسَارُ وَشِمَالُهُ الصَّمْتُ وَالْحُزْنُ يَخْتَصُّ بِهِ الْعَارِفُونَ لِلَّهِ وَالتَّفَكُّرُ يَشْتَرِكُ فِيهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ وَلَوْ حُجِبَ الْحُزْنُ عَنْ قُلُوبِ الْعَارِفِينَ سَاعَةً لَاسْتَغَاثُوا وَلَوْ وُضِعَ فِي قُلُوبِ غَيْرِهِمْ لَاسْتَنْكَرُوهُ فَالْحُزْنُ أَوَّلٌ ثَانِيهِ الْأَمْنُ وَالْبِشَارَةُ وَالتَّفَكُّرُ ثَانٍ أَوَّلُهُ تَصْحِيحُ الْإِيمَانِ وَثَالِثُهُ الِافْتِقَارُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِطَلَبِ النَّجَاةِ وَالْحَزِينُ مُتَفَكِّرٌ وَالْمُتَفَكِّرُ مُعْتَبِرٌ وَلِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَالٌ وَعِلْمٌ وَطَرِيقٌ وَحِلْمٌ وَشَرَفٌ».(مصباح الشريعة:١٨٨)

فالمؤمن كما يصفه الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام هو من كان حزنه على نفسه المذنبة البعيدة عن الله تبارك وتعالى، بل هو البعيد عن الدنيا بزبرجها، وغير ذلك من الأمور التي تشغل المؤمن عن الله عزّ وجل وعن التفكّر في آياته تعالى.

فالحزنُ بمعناه العام ليس بمطلوبٍ، ولا مقصود، ولا فيه فائدةٌ، وقد استعاذ منه النبي صلى الله عليه وآله فقال: «اللهمّ إني أعوذُ بك من الهمّ والحزنِ»، فهو قرينُ الهمّ، وكلاهما مضعفٌ للقلبِ عن المسير، ومُهبط للعزم.

والحزنُ تكديرٌ للحياة وتنغيصٌ للعيش، وهو مصلٌ سامٌّ للروح، يورثُها الفتور والنكَد والحيْرَة، ويصيبُها بوجوم قاتم متذبّلٍ أمام الجمالِ، فتهوي عند الحُسْنِ، وتنطفئُ عند مباهج الحياةِ، فتحتسي كأسَ الشؤم والحسرة والألم.

ولكنّ نزول منزلته ضروريٌ بحسبِ الواقع، ولهذا يقولُ أهلُ الجنة إذا دخلوها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ .[فاطر:٣٤]

فهذا يدلُّ على أنهمْ كان يصيبُهم في الدنيا الحزنُ، كما يصيبهُم سائرُ المصائبِ التي تجري عليهم بغيرِ اختيارِهم.

فإذا حلّ الحُزْنُ وليس للنفس فيه حيلةٌ، وليس لها في استجلابهِ سبيلٌ فهي مأجورةٌ على ما أصابها؛ لأنه نوْعٌ من المصائبِ فعلى العبدِ أنْ يدفع عن نفسه الحزن إذا حلّ به، وذلك بالأدعيةِ والوسائلِ الحيّةِ الكفيلةِ بطردِه.

نعم هناك حزن مطلوب وهو الحزن الخفي الذي جاء من غفلة العبد وابتعاده عن الله تبارك وتعالى، فعليه حينئذ أن يحزن ويخفي حزنه في قلبه لأنّه قد فرط في جنب الله عزّ وجل.

نفس المؤمن

بيّن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام صفة أُخرى من صفات المؤمن فقال: «أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً، وَأَذَلُّ شَيْءٍ نَفْساً».

يصف الإمام سلام الله عليه المؤمن بسعة الصدر، والمقصود من (أوسع صدراً) أي أوسَعُ رَحابة، فمن خصوصية المؤمن السماحة ورحابة الصدر. لأنّ المؤمن عليه أن يسع صدره للهموم والغموم، ليكون هناك مجالٌ واسعٌ لاستيعاب العلوم والأسرار والتفكّر في آيات الله تبارك وتعالى، وتحمّل المخالِف وعدم انشغاله بهموم الدنيا والغموم الفانية، بل التوجه إلى الله تعالى بالتفكّر في آياته عزّ وجل، وأن يوسّع صدره للعلوم والأسرار الإلهية.

إذن البِشر والحزن صفتان أكّد عليهما أمير المؤمنين علي عليه السلام وهي من الصفات التي يرتكز عليها المؤمن في حياته وتعاملاته إلى أُسس وقواعد عقائدية وأخلاقية وتشريعية.

لقد نظّم الإسلام حركة المؤمن في حياته كذلك شرّع القوانين والأُسس لتقويم العلاقة بين الفرد والآخر، أو بين الفرد والمجتمع، أو بين المجتمع والمجتمع الآخر. فجعل الإمام سلام الله عليه هذه الصفة في نفس المؤمن وفي قلبه لتتكامل المسيرة الاجتماعية وصولاً إلى حياة سعيدة ورفاه والفوز بالحياة الأبدية في الآخرة.

أمّا النفس البشرية فهي عبارة عن الروح أو الفؤاد أو الوجدان، ويعتبر إذلال النفس من أجل الدنيا غير محمود، وليس هو المطلوب.

لكنه عليه السلام يصف نفس المؤمن الأمارة بالسوء بالذليلة أمام الناس ولا يطلب الرفعة ولا يرتفع، وعليه أن يكون متواضعاً أمام الناس، ويرى نفسه أقل من كل أحد.

فالمؤمن نفسه الأمارة ذليلة لروحه المقدسة، ومخالفته للنفس الأمارة شعاره، وهدفه إذلال النفس الأمارة بالسوء، وهي التي تطلب الرفعة والكبرياء وعدم التواضع.

وطبقاً لكلام أمير المؤمنين عليه السلام فإنّ نفس المؤمن هي أذل ما في داخله، فإنّها أمّارة بالسوء، فهي تتنافى مع إيمانه واعتقاده بالله تعالى.



آيـــات العفو

إنّ الآيات التي وردت في باب العفو على أقسام مختلفة، قد ذكرناها في العددين السابقين، لكنّ هناك توضيح إجمالي حول العفو الإلهي للإنسان وشموليته بهذا العفو في دار السلام.

أولاً: المشيئة الإلهية

في الجمع بين الآيات الكريمة إنّ المدار على حسب فهمنا هو حمل العام على الخاص وحمل المطلق على المقيد إذا تنافيا بحسب الظاهر أحدهما مع الآخر بأن كان أحدهما ثبتاً والآخر منفياً الظاهر لا إشكال ولا خلاف في الحمل على هذه الصورة في الجملة.

وأما إذا لم يكن بينهما بحسب الظاهر منافاة ككونهما مثبتين فالتحقيق كما هو الظاهر من بعض المحققين أيضاً هو حمل المطلق على المقيّد كما إذا قيل إن ظاهرت فاعتق رقبة وإن ظاهرت فاعتق رقبة مؤمنة، فاللازم هو عتق الرقبة المؤمنة وعدم كفاية مطلب الرقبة، وأما في العام والخاص في هذا الفرض فالظاهر هو العمل بالعموم كما إذا قيل أكرم العلماء وأكرم الفقهاء فلابد من الأخذ بالعموم والعمل على وفقه وإن كان اللازم من القول به تأكد الحكم في مورد الخاص، وتمام الكلام موقوف إلى محله.

فإنه لابد في المقام من تقييد الآيات المطلقة مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٣]، بالمقيّدات مثل قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران:٧٤]، وقوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦]، وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١١٢]؛ ونحوها لما مرّ من أنّ التحقيق هو حمل المطلق على المقيّد.

ومن تخصيص عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣])، به خصوص قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]، لوجود التنافي بين ظاهرهما.

فالعموم شامل لجميع أصناف الذنوب حتّى الشّرك وقد نفى الله تعالى المغفرة عنه بقوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا

﴿يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، فعلى هذا صار النتيجة من الجمعين المرجوّ في مغفرة الله تعالى بما دون الشرك ولكن مقيّدة بالمشيئة إذ الآيات المقيّدة والخاصة في كلتا الطائفتين مقيّدة بالمشيئة وآية العموم وإن لم تكن مقيّدة بها ولكن لمّا كانت من هذه الجهة مطلقة أيضاً فاللازم مضافاً إلى تخصيصها تقييدها بالمقيّدات أيضاً فعلى قاعدة الحمل صار مفاد المجموع إنّ الله يغفر ما دون الشرك لمن يشاء كما عرفت.

كذلك في العفو الإلهي والمغفرة الربانية المشيئة لها الدور الكبير، فإن شاء غفر الله للمذنب حتى لو كانت ذنوبه بمقدار زبد البحر كما جاء في الرواية الشريفة.

عَنْ بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «مَنْ ذَكَرَنَا أَوْ ذُكِرْنَا عِنْدَهُ فَخَرَجَ مِنْ عَيْنِه دَمْعٌ مِثْلُ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ غَفَرَ الله لَهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». (المحاسن:١/٦٣)

فإنّ المغفرة الإلهية والعفو تشمل الإنسان إذا كان هناك إطاعة لأوامر خليفة الله تعالى في أرضه المتمثلة بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وبأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام وأولادهما المعصومين الأئمة الذي هم حجج الله على العباد في أرضه، فبإطاعتهم ومحبتهم وموالاتهم تشملنا الرحمة الإلهية والعفو الرباني والمغفرة.

ثانياً: أنواع العبادة

بغض النّظر عن الإطلاق والتقييد والعموم والخصوص أن ما كان الجامع بين الأدلة هو ثبوت الغفران لأهل المعاصي ولكن بشرط الإيمان، أي غير المؤمن لم يكن قابلاً لشمول رحمته تعالى لأنّه معاند لأساس الخلقة، إذ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾.[الذاريات:٥٦]

العبادة ليست فقط الصلاة والصوم، بل هي في إطار إطاعة الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام.

والخلقة مع ما فيها من الرحمة كانت على أساس المعرفة والعبودية، ولا معرفة ولا عبودية مع الشّرك ولكن قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، كانت في مقام ترغيب العباد إلى الله تعالى وعدم قنوطهم من رحمته عزّ وجل، لأنه هو الغفور الرحيم.

أما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٤٧) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيماً﴾ [النساء:٤٧-٤٨]، كانت في مقام دفع توهّم أنّ الله تعالى يعفو ويغفر ولو من غير من آمن بما نزّله، نبّه بذلك بعد توعيدهم في آية (٤٧) من سورة النساء، فهنا به تغيير النفوس (أي التصرف فيها بحيث يوجب تغيير طباعها عن عدم مطاوعة الحقّ وتجنّب الباطل) إلى اتّباع الباطل وهو المراد بالطمس (أو به تغيير الخلقة أي تغييرهم من الخلقة الإنسانية إلى غيره)، في هذه الآية بعدم غفرانهم مؤكّداً بجملة الاسميّة (أي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾).

ثالثاً: معنى المشيئة

إنّ المشيئة لما كانت لغة واصطلاحاً عبارة عن اختيار الشّيء بعدما كان له قدرة لذلك الشّيء بمعنى أنّه لا يعقل تحقق المشيئة بالنسبة إلى شيء إلاّ أن يكون فاعله قادراً على ذلك فكلمة المشيئة في كلماته تعالى كانت عبارة عن اختياره تعالى ومشيّة الله بنحو الإطلاق كانت إشارة إلى سعة وجوده وكمال قدرته وإن ما سواه خاضع له وذليل له وإنّه علا كلّ شيء ولما ثبت في محلّه أنّ هذه الهويّة ثابتة له بالذّات أشار إلى بعض مصاديقها في كتابه الكريم ومبرم خطابه به مناسبات مختلفة.

منها في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لله فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:١]، والظاهر التعليل في الآية مربوط لقوله ﴿ما يشاء﴾ وهو دليل لما ذكرناه.

جاء في تفسير القمي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية أنّه قال: «خَلَقَ الله الْمَلاَئِكَةَ مُخْتَلِفَةً وَقَدْ رَأَى رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله جَبْرَئِيلَ وَلَهُ سِتُّمائَةِ جَنَاحٍ عَلَى سَاقِه الدُّرُّ مِثْلُ الْقَطْرِ عَلَى الْبَقْلِ قَدْ مَلأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»، وَقَالَ عليه السلام: إِذَا أَمَرَ الله مِيكَائِيلَ بِالْهُبُوطِ إِلَى الدُّنْيَا صَارَتْ رِجْلُهُ الْيُمْنَى فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالأُخْرَى فِي الأَرْضِ السَّابِعَةِ وَإِنَّ لله مَلاَئِكَةً أَنْصَافُهُمْ مِنْ بَرْدٍ وَأَنْصَافُهُمْ مِنْ نَارٍ يَقُولُونَ يَا مُؤَلِّفاً بَيْنَ الْبَرْدِ وَالنَّارِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»، وَقَالَ: «إِنَّ لها مَلَكاً بُعْدُ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنَيْه إِلَى عَيْنَيْه مَسِيرَةُ خَمْسِمائَةِ عَامٍ خَفَقَانَ الطَّيْرِ»، وَقَالَ:

«إنَّ المَلائِكَةَ لا يَأْكُلونَ وَلا يَشْرَبُونَ وَلا يَنْكِحُونَ وَإِنَّمَا يَعِيشُونَ بِنَسِيمِ العَرْش، وَإِنَّ للهِ مَلائِكَةً رُكَّعاً إِلَى يَوْمِ القِيَامَة، وَإِنَّ للهِ مَلائِكَةً سُجَّداً إِلَى يَوْمِ القِيَامَة»، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: مَا مِنْ شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ المَلائِكَةِ وَإِنَّهُ لَيَهْبِطُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ فَيَأْتُونَ البَيْتَ الحَرَامَ فَيَطُوفُونَ بِهِ ثُمَّ يَأْتُونَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله ثُمَّ يَأْتُونَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عليه السلام فَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ ثُمَّ يَأْتُونَ الحُسَيْنَ عليه السلام فَيُقِيمُونَ عِنْدَهُ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ السَّحَرِ وُضِعَ لَهُمْ مِعْرَاجٌ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لا يَعُودُونَ أَبَداً». (تفسير القمي:٢/٢٠٦)

إنّ الرواية الشريفة تشير إلى اختلاف خلق الملائكة في الهيئة والكيفية، وهذا بيان على أنّ لله في خلقه شؤوناً، لقد خلق الله بإرادته كل شيء فقدرته الكمالية قادرة على أن يخلق كل شيء ويفني كل شيء، كذلك إعادة الخلق بعد الفناء، وبعد انقضاء مدّته، فهو الذي خلقه من لا شيء.

والآية المباركة تشير إلى أنّ لله القدرة التامة والكاملة في ازدياد الخلق ونقصانه، فضلاً عن أنّ بيده جميع أمور البشر وغيره.

وجاءت الآية الأخرى لتبيّن أنّ الله تبارك وتعالى باستطاعته أن يذهب بجميع الخلق بلا استثناء ويأتي بخلق جديد، يقول عزّ وجل في كتابه الكريم: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾. [إبراهيم:١٩]

جاء في تفسير هذه الآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالحكمة والغرض الصحيح ولم يخلقها عبثاً باطلاً وقرئ خالق السموات، ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾، أي: يعدمكم ويخلق مكانكم خلقاً آخرين، ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ ﴾، أي: بمتعذّر أو متعسّر. (تفسير الصافي:٣/٨٣)

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ ﴾. [فاطر:٢١]

إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق الناس بمستوى واحد، فهناك اختلاف بين البشر فضلاً عن الاختلاف الموجود بين المخلوقات، وهنا اختلاف بين الحي والميت، والمقصود هنا بالميت هو المخلوق الذي لا يدرك شيئاً من هذه الدنيا ولا يعلم ولا يعرف أي شيء عن من خلقه ومن أجل ما خلق، وما هي نهايته.

وقد شبّه القرآن الكريم البعيد عن الله تبارك وتعالى وعن الشريعة والدين بالميت لأنّ الميت لا يمكنه السمع ولا البصر ولا التفكر، فحلقة الارتباط بينه وبين الآخرين مقطوعة، ولا يمكنه التواصل مع غيره، فضلاً عن التواصل مع الله تبارك وتعالى.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى ﴾ قَالَ: أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ ﴿ وَالْبَصِيرُ ﴾ قَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَلا الظُّلُمَاتُ ﴾ يَعْنِي أَبو جَهْلٍ المُظْلِمَ قَلْبُهُ بِالشِّرْكِ ﴿ وَلا النُّورُ ﴾ يَعْنِي قَلْبَ عَلِيٍّ المَمْلُوءَ مِنَ النُّورِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَلا الظِّلُّ ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ مُسْتَقَرَّ عَلِيٍّ [فِي] الجَنَّةِ ﴿ وَلا الْحَرُورُ ﴾ يَعْنِي [به] مُسْتَقَرَّ أَبِي جَهْلٍ [فِي] جَهَنَّمَ، ثُمَّ جَمَعَهُمْ فَقَالَ: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ ﴾ عَلِيٌّ وَحَمْزَةُ وَجَعْفَرٌ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ وَفَاطِمَةُ وَخَدِيجَةُ ﴿ وَلا الأَمْوَاتُ ﴾ كُفَّارُ مَكَّةَ. (شواهد التنزيل:٢/١٥٤)

فإنّ أهل البيت عليهم السلام هم المرتبطون بالله تبارك وتعالى فضلاً عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي قاب قوسين أو أدنى، عرج إلى الملكوت حتى وصل إلى درجة أعلى وأعظم من الخلق أجمعين من الملائكة والإنس وغيرهما.

فمن اهتدى بهدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام عليهم السلام فهو الحي ومن لم يهتد بهم عليهم السلام فهو كالميت في القبر، وقد شبه القرآن هذه الدنيا للميت كالقبر.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (٦٦) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ ﴾. [يس:٦٥-٦٦]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ ﴾، أي: لمسحنا أعينهم حتّى تصير ممسوحة ﴿ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ ﴾ أي: فاستبقوا إلى الطريق الذي اعتادوا سلوكه ﴿ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴾ أي: كيف يبصرون الطريق وجهة السلوك فضلاً عن غيره. ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ ﴾ بتغيير صورهم وإبطال قواهم ﴿ عَلَى مَكَانَتِهِمْ ﴾ مكانهم بحيث يخمدون فيه. قال القمي: يعني في الدنيا وقرئ مكاناتهم ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا ﴾ ذهاباً ﴿ وَلا يَرْجِعُونَ ﴾ ولا رجوعاً أو لا يرجعون عن تكذيبهم. (تفسير الصافي:٤/٢٥٩)

فهذه الآية دالة على قدرة الله تبارك وتعالى في تغيير صورة البشر وهيئته وكيفية خلقته حيث ما يشاء سبحانه وتعالى، ومتى ما شاء عزّ وجل، كذلك على مكانتهم.

وقوله تعالى: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾. [غافر:١٥]

فعَنْ حَفْص بْنِ غِيَاث عَنْ أَبِي عَبْد الله عليه السلام قَالَ: «﴿ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ يَوْمُ يَلْتَقِي أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الأَرْض ﴿ وَيَوْمَ التَّنَادِ ﴾ يَوْمُ يُنَادِي أَهْلُ النَّارِ أَهْلَ الْجَنَّة ﴿ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ ﴿ يَوْمَ التَّغَابُنِ ﴾ يَوْمُ يَغْبِنُ أَهْلُ الْجَنَّة أَهْلَ النَّار ﴿ وَيَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ يَوْمُ يُؤْتَى بِالْمَوْت فَيُذْبَحُ». (معاني الأخبار:١٥٦)

فإنّ العفو الإلهي يشمل من شاء تعالى أن يعفو عنه، بالإضافة إلى أنّ هناك طرقاً ووسائل لشمول العفو الإلهي، لأنّ الله تعالى برحمته وعدله جعل لنا طرقاً مختلفة للوصول إلى العفو الإلهي والمغفرة الربانية.

والوسيلة الوحيدة لقبول التوبة والحصول على العفو هم أهل البيت عليهم السلام المتمثلون بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم سيد الخلائق أجمعين، وأمير المؤمنين علي عليه السلام والصديقة الزهراء فاطمة عليها السلام وولديهما سيدي شباب أهل الجنة عليهما السلام والأئمة المعصومين التسعة من ذرية سيد الشهداء عليه السلام، لاسيما إمام زماننا الحجة بن الحسن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

عَنْ عَبْد الله بْن طَلْحَةَ النَّهْدِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْد الله عَلَيْه السَّلاَمُ يَقُولُ وَسَأَلَهُ ذَرِيحٌ، فَقَالَ لَهُ: جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ فَقَالَ: «يَا ذَرِيحُ! هَاتِ حَاجَتَكَ؛ فَمَا أَحَبَّ إِلَيَّ قَضَاءَ حَاجَتِكَ!»، فَقَالَ: جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ أَخْبِرْنِي هَلْ تَحْتَاجُونَ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا تُسْأَلُونَ عَنْهُ لَيْسَ يَكُونُ عِنْدَكُمْ فِيهِ ثَبْتٌ مِنْ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى تَنْظُرُونَ إِلَى مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الْكُتُبِ؟ قَالَ: «يَا ذَرِيحُ! أَمَا وَاللَّه لَوْ لاَ أَنَّا نُزَادُ لَأَنْفَدْنَا».

قَالَ عَبْدُ الله بْنُ طَلْحَةَ: فَقُلْتُ لَهُ: تُزَادُونَ مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّبِيِّ؟ قَالَ: «إِنَّ دَاوُدَ وَرِثَ النَّبِيِّينَ وَزَادَهُ الله، وَإِنَّ سُلَيْمَانَ وَرِثَ دَاوُدَ وَزَادَهُ الله وَإِنَّ مُحَمَّداً وَرِثَ سُلَيْمَانَ وَدَاوُدَ وَزَادَهُ الله وَإِنَّا وَرِثْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَزَادَنَا الله إِنَّا لَسْنَا نُزَادُ شَيْئاً إِلاَّ شَيْءٌ يَعْلَمُهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه؛ أَوَ مَا سَمِعْتَ أَبِي يَقُولُ: إِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُعْرَضُ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُلَّ خَمِيس، فَيَنْظُرُ فِيهَا وَيَعْلَمُ مَا يَكُونُ مِنْهَا، فَلَسْنَا نُزَادُ شَيْئاً إِلاَّ شَيْئاً يَعْلَمُهُ هُوَ». (الأصول الستة عشر:٢٤٠)

وعَنْ مُحَمَّد بْنِ الْحَسَنِ الصَّفَّار عَنْ أَبِي عَبْد الله عليه السلام قَالَ: «إِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُعْرَضُ عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله كُلَّ صَبَاحٍ أَبْرَارِهَا وَفُجَّارِهَا فَاحْذَرُوا فَلْيَسْتَحْيِ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْرِضَ عَلَى نَبِيِّهِ الْعَمَلَ الْقَبِيحَ». (تفسير القمي:١/٣٠٥)

وفي رواية أخرى عن سماعة بن مهران قال: قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما لكم تسوؤون رسول الله صلى الله عليه وآله؟»، قلت: كيف سيدي؟ قال: «إنّ أعمالكم لتعرض عليه فإذا رأى سيئة ساءه ذلك». (بصائر الدرجات:٤٤٦)

إنّ أعمال الإنسان تعرض على خليفة الله في أرضه وسمائه وكذلك من بعده تعرض على آبائه الطيبين الطاهرين حتى أن يصل إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

فعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ قال: «المؤمنون هم الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله، وإن أعمالكم كانت تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى الإمام من بعده». (مناقب آل أبي طالب:٣/٥٠٤)

فإن كان العبد يستحق العفو والرحمة والمغفرة سينالها بواسطة أهل البيت عليهم السلام، فأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم الوسطاء للدخول إلى رحمة الله تعالى.

إنّ الإنذار الإلهي للإنسان على الإسراع في التوبة وحثّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام على التوجه إلى أعمالنا هو من أجل يوم التلاق ويوم التناد ويوم الحسرة، أي يوم القيامة.

وقد عبّر عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «إِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ بِلاَ حِسَابٍ وَغَداً حِسَابٌ بِلاَ عَمَلٍ». (إرشاد القلوب:١/١٩١)



بقلم: مهدي الاجلوئيان



كذب الوقّاتون

ثقة المعصوم

الشيخ الجليل محمد بن عثمان بن سعيد العمري (أبو جعفر) تولّى السفارة بعد أبيه بنص من الإمام العسكري عليه السلام حيث قال: «واشهدوا عليّ أن عثمان بن سعيد وكيلي وأن ابنه وكيل ابني مهديكم».(بحار الأنوا:٥١/٣٤٥)

وفي نص آخر قال عليه السلام: «العمري وابنه ثقتان فما أدّيا فعني يؤديان وما قالا فعني يقولان فاسمع لهما وأطعهما فإنّهما الثقتان المأمونان».(الغيبة للطوسي:١٤٧)

وفي نص ثالث قال عليه السلام: «وأمّا محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن أبيه من قبل فإنّه ثقتي وكتابه كتابي».(البحار:٥٣/١٨١)

وسبق أن تقدم تعيينه من قبل الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في كتاب تعزيته بوفاة والده.

واستمرت سفارة محمد بن عثمان قرابة أربعين عاماً عاصر فيها خلافة المعتمد العباسي وخلافة المعتضد وخلافة المكتفي وعشر سنوات من خلافة المقتدر، وتوفي سنة ٣٠٥هـ.

عدالته رضوان الله عليه

وكان جميع الموالين مجتمعين على عدالته وثقته وأمانته، وكلمات الإمام المهدي عليه السلام فيه متضافرة فقد كان يُثني عليه الثناء العاطر ويشجّعه وهو في أول أيام اضطلاعه بمهمته الكبرى.

وكانت التوقيعات تخرج على يده من الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في المهمات طول حياته بالخط الذي كانت تخرج في حياة أبيه.

لا يعرف الشيعة في هذا الأمر غيره ولا يُرجع إلى أحد سواه وقد نقلت عنه دلائل كثيرة ومعجزات الإمام ظهرت على يده وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم في هذا الأمر بصيرة.

وبقي مضطلعاً بمسؤولية السفارة نحواً من أربعين سنة حيث كان أطول السفراء بقاء في السفارة وأكثرهم توفيقاً في تلقي التعاليم من الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وأوسعهم تأثيراً في الوسط الذي عاش فيه والذي كان مأموراً بقيادته وتدبير شؤونه.

وكان له كتب مصنّفة في الفقه مما سمعه عن الإمام العسكري عليه السلام ومن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ومن أبيه عثمان عن الإمامين العسكري والهادي عليهما السلام.

علمه من المعصوم

كان يعلم بإرشاد من الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بزمان موته إذ حفر لنفسه قبراً وسوّاه بالساج.

يقول الراوي فسألته عن ذلك فقال: أُمرت أن أجمع أمري، فمات بعد ذلك بشهرين.

وكان قد أعدَّ لنفسه ساجة نقش عليها آيات من القرآن الكريم وأسماء الأئمة عليهم السلام على حواشيها.

قال الراوي فسألته عنها فقال: هذه لقبري تكون فيه أُوضع عليها وأنا في كل يوم أنزل فيه أقرأ جزءاً من القرآن وأصعد وإذا كان يوم كذا وكذا من شهر كذا من سنة كذا صرت إلى الله تعالى عزّ وجلّ.

قال الراوي: وما تأخّر الأمر حتى اعتلّ فمات في اليوم الذي ذكره من الشهر والسنة التي ذكرها.

ولم يفت أبو جعفر العمري رضوان الله تعالى عليه أن يوصي إلى خلفه السفير الثالث الحسين بن روح بأمر من الحجة عجل الله فرجه الشريف وعندما تُوفّي دُفن في شارع باب الكوفة في الموضع الذي كانت دوره ومنازله فيه.

كذب التوقيت

ينبغي للمؤمن أن يعيش دائماً حالة الاستعداد للقاء الإمام عجل الله فرجه الشريف وظهوره الشريف وأن يستقرب ذلك ولا يستبعده كما جاء في دعاء العهد: «إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً» ولكن في المقابل عليه أن لا يقع في محذور نهانا الإمام عجل الله فرجه الشريف وآباؤه الطاهرون عليهم السلام عن الوقوع فيه ألا وهو التوقيت والتحديد.

يقول الإمام الصادق عليه السلام مجيباً أبا بصير حينما سأله عن القائم عجل الله فرجه الشريف: «كذب الوقّاتون، إنا أهل بيت لا نوقّت»، ثم قال: «أبى الله إلاّ أن يخلف وقت الموقّتين». (الغيبة للنعماني:٢٩٣)

وفي حديث آخر قال عليه السلام: «من أخبرك عنّا توقيتاً فلا تهابنّ أن تكذّبه فإنّا لا نوقّت لأحد وقتاً». (الغيبة للنعماني:٢٨٩)٥.

وفي حديث ثالث جاء عنه عليه السلام: «يا أبا محمد إنّا أهل بيت لا نوقّت وقد قال محمد صلى الله عليه وآله وسلم: كذب الوقّاتون، يا أبا محمد إن قدّام هذا الأمر خمس علامات: أولاهن النداء في شهر رمضان، وخروج السفياني، وخروج الخراساني، وقتل النفس الزكية، وخسف بالبيداء». (الغيبة للنعماني:٢٩٠)

النتيجة

المستفاد من جميع ما تقدم أن أهل البيت عليهم السلام قد أقفلوا الباب أمام هذا الموضوع الخطير سواء في نقله عنهم بأنهم وقّتوا أو في ادّعاء إنسان لذلك ابتداءً من نفسه، وليس خفياً ما يتركه عدم الالتزام بهذا الأمر من آثار غير مرضية ولم يكن ذلك غائباً في وصايا صاحب العصر الإمام المهدي روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء، الموجّهة إلينا في جملة من كتبه لسفرائه ومنهم السفير الثاني محمد ابن عثمان.

فقد جاء في كتاب له: «أمَّا ما سألتَ عنه، أرشدك الله وثبَّتكَ ووقاك من أمر المُنكِرين لي من أهل بيتنا وبَني عمنا، فاعلمْ أنَّه ليس بين الله عزَّ وجلَ وبين أحد قرابة، ومَن أنكَرَني فليسَ منِّي، وسبيلُه سبيلُ ابن نوح! وأمَّا سبيل عمِّي جعفر ووُلْدِه، فسبيلُ إخوة يوسف، وأمّا أموالكم فلا نَقبلها إلا لتطهُروا، فمن شاء منكم فَلْيَصل، ومن شاء فَلْيَقطع، وما آتانا الله خيرٌ مما آتاكم، أما ظهور الفَرَج فإنه إلى الله، وكذب الوقّاتون». (كشف الغمة:٣/٣٢١)

مما قال رضوان الله تعالى عليه



قال السفير الثاني: (والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه). (حصائل الفكر:٧٩)

وسئل ذات مرة: هل رأيت صاحب الأمر؟ قال: (نعم وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني»، ورأيته متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار يقول: «اللهم انتقم بي من أعدائك»). (حصائل الفكر:٨٠)

وقد روي دعاء في شهر رجب يقرأ في كل يوم منه: «اللهم إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك المأمونون...». (حصائل الفكر:٨١)

الشيخ أحمد الجمري

صفين معركة الحق ضد البغي

صفين من أهم المعارك التي خاضها جيش الحق بقيادة أمير المؤمنين علي عليه السلام بوجه جيش البغي بقيادة معاوية بن أبي سفيان لعنه الله في الأول من صفر عام ٣٩هـ.

لما انتهت غزوة الجمل في البصرة ووضعت الحرب أوزارها، رجع الإمام عليه السلام إلى الكوفة مظفراً منصوراً، بعث كتاباً إلى معاوية يأمره بأخذ البيعة له عليه السلام، وبعث الكتاب بيد رجل إلى الشام، وجمع معاوية بعض مشاهير الشام وأمرهم بإشاعة هذا الخبر وإذاعته فيما بين الناس: (أنّ علياً قتل عثمان، ومعاوية ولي دم عثمان، فيجب الطلب بثأر عثمان ودمه). (الإمامة والسياسة:١/١٠٩)

وأعانه على هذه الفكرة عمرو بن العاص واشترط على معاوية أنّه إذا بايعه وأعانه على حرب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأخرجوا مصر من تحت سلطة أمير المؤمنين عليه السلام يكون عمرو بن العاص والياً وأميراً على مصر، فبايعه على ذلك وبايع أهل الشام معاوية أيضاً.

وصول وابتداء

نهض معاوية بجيشه الجرار وأقبل إلى (صفين)، وهي اسم أرض كبيرة واسعة، مستعداً للقتال ونهض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعسكره إلى ذلك المكان وبعد أيام من وصوله استعرت نار الحرب فيما بين الفريقين وجرت أنهار من الدّماء، وتكونّت أتلال وجبال من أجساد القتلى من الفريقين.

فقد وصل أبو الأعور السلمي وهو على مقدمة جيش معاوية إلى منطقة صفين، الكائنة بالقرب من مدينة الرقة في سوريا، ونزلا منزلاً اختاروه واسعاً واستولوا على شريعة الفرات.

فوصل مالك الأشتر ومعه أربعة آلاف رجل وهم مقدمة الجيش العلوي، فاصطدموا بأبي الأعور وأزالوهم عن الفرات، فوصل معاوية مع الجيش الجرار، فانسحب الأشتر عن الفرات، فاستولى معاوية وأصحابه على شاطئ الفرات وصار الماء لديهم فوصل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومعه مائة ألف إنسان ويزيدون، فأمر الإمام الجيش أن ينزلوا ويضعوا أثقالهم وأحمالهم، وتسرع بعضهم إلى ناحية معاوية واقتتلوا قتالاً قليلاً.

دناءة معاوية

وتقدم طائفة من الناس إلى الفرات ليستقوا فمنعهم أهل الشام فأرسل الإمام عليه السلام صعصعة بن صوحان إلى معاوية رسولاً يعاتبه على تسرعه بالاستيلاء على الماء وجرى كلام طويل في ذلك.

عندما استولى أصحاب معاوية استيلاءً تاماً على الفرات، قال: (يا أهل الشام هذا أول الظفر، لا سقاني الله ولا أبا سفيان إن شربوا منه حتى يقتلوا بأجمعهم). (وقعة صفين:١٦٣)



وتباشر أهل الشام من هذه البشرى السارة وهي التغلب على العدو عن طريق حبس الماء، فقام رجل من أهل الشام همداني متعبد وقال: يا معاوية سبحان الله سبقتم القوم إلى الفرات وتمنعونهم الماء؟ أما الله لو سبقوكم إليه لسقوكم منه، أليس أعظم ما تنالون من القوم أن تمنعوهم الفرات؟ أما تعلمون أن فيهم العبد والأمة والأجير والضعيف ومن لا ذنب له؟؟ هذا والله أول الجور.

فأغلظ له معاوية في الكلام وقال لعمرو: اكفني صديقك، فأتاه عمرو وقابله بالكلام الخشن، فسار الهمداني في سواد الليل حتى لحق بعلي عليه السلام. (شرح نهج البلاغة:٣/٣٢٠)

معسكر الحق

مكث أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام يوماً وليلة بغير ماء، واغتم الإمام عليه السلام من عطش أصحابه، لأنّهم باتوا في البرّ عطاشى، قد حيل بينهم وبين الورود إلى الماء، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: إنّ علياً لا يموت عطشاً، هو وتسعون من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم، ولكن دعهم يشربون وتشرب.

فقال معاوية: لا والله أو يموتون عطشاً كما مات عثمان.

وخرج الإمام في تلك الليلة يدور في عسكره فسمع قائلاً يقول:

أيمنعنا القوم ماء الفرات؟
وفينا عليٌّ وفينا الهدى
وفينا الصلاة وفينا الصيام
وفينا المناجون تحت الدجى

ثم مرّ بآخر فسمعه يقول:

أيمنعنا القوم ماء الفرات؟
وفينا الرماح وفينا الحجف
وفينا عليٌّ له صولة
إذا خوفوه الردى لم يخف
ونحن غداة لقينا الزبير
وطلحة خضنا غمار التلف
فما بالنا أمس أسد العرين
وما بالنا اليوم شاء عجف

وألقي على الأشعث رقعة فيها شعر، فلما قرأها هاجت فيه الحمية، ودخل على الإمام.

فقال: يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم ماء الفرات وأنت فينا والسيوف في أيدينا؟ خل عنّا وعن القوم، فوالله لا نرجع حتى نرده أو نموت.

جيش الإمام والسيطرة على الفرات

رجع الأشعث فنادى في الناس: من يريد الماء أو الموت فميعاده موضع كذا، فإني ناهض.

فخرج اثنا عشر ألف رجل من قبيلة كندة وغيرهم، واضعي سيوفهم على عواتقهم، وأقبل الأشتر بخيله فحملوا على الفرات حملة رجل واحد وأخذت السيوف أهل الشام، فولوا مدبرين حتى غمست خيل أمير المؤمنين سنابكها في الفرات واستولوا على الماء، وأزالوا أبا الأعور عن الشريعة وغرقوا منهم بشراً وخيلاً، وارتحل معاوية عن ذلك الموضع، ولما صار الماء بأيدهم قالوا: لا والله لا نسقيهم، فأرسل إليهم أمير المؤمنين: أن خذوا حاجتكم من الماء وارجعوا إلى معسكركم، وخلوا بينكم وبين الماء فإنّ الله قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم، وقالوا له: أمنعهم الماء كما منعوك، فقال: لا، خلوا بينهم وبينه، لا أفعل ما فعله الجاهلون، واستأذنه معاوية في وروده المشرعة فأباح الإمام له ذلك.

كان الإمام عليه السلام يحاول المحافظة على السلم والسلام والأمان كما فعل يوم الجمل فلم يزل يرسل الأفراد إلى معاوية للتفاهم وحسم النزاع وكان معاوية مصراً على الحرب والقتال.

وأخيراً اشتعلت نار الحرب واصطدم العسكران، فزحف بعضهم على بعض، وتراموا بالنبال والحجارة حتى فنيت، ثم تطاعنوا بالرماح حتى تكسرت ومشى بعضهم إلى بعض السيوف وعمد الحديد، فلم يسمع السامعون إلاّ وقع الحديد بعضه على بعض، وانكسفت الشمس وأمطرت السماء دماً، وحملت الأفواج على الأفواج.

إنهدام وشيك

وحيث إنَّ الحرب كانت قد طالت على الفريقين أراد كل جانب إنهاء الأمر وسئموا البقاء هناك، ولهذا تبادروا إلى القتال واستمرت الحرب ستاً وثلاثين ساعة، واقترب الجيش العلوي من مقر قيادة الجيش الأُموي وطلب معاوية فرساً لينهزم، وكان أهل الشام ينادون: يا معشر العرب: الله الله في الحرمات من النساء والبنات، الله الله في البقية، لقد فنيت العرب... الخ.

كلمة حق يراد بها باطل

اقترب الجيش العلوي من الفتح، ولاح لهم الظفر والنصر

وتوجه الخطر إلى معاوية ولم يستطع المقاومة إلاّ عن طريق الخدعة والمكر، فأمر معاوية أصحابه في جوف الليل أن يربطوا المصاحف على رؤوس الرماح، وأصبح الصباح وإذا بأهل العراق يشاهدون خمسمائة مصحف على رؤوس الرماح وأهل الشام ينادون بما تقدم من كلامهم، ويستعطفون أهل العراق ويطلبون منهم ترك الحرب، وكان آخر كلامهم: هذا كتاب الله بيننا وبينكم.

فقال الإمام: اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون.

ومن هنا اختلف أصحاب علي عليه السلام، فطائفة قالت: القتال، وطائفة قالت: المحاكمة إلى الكتاب، ولا يحل لنا الحرب وقد دعينا إلى حكم الكتاب.

فعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها، وكان عدي بن حاتم يرى أن الفتح والنصر قد اقترب، ويطلب من الإمام إدامة الحرب، وقام عمرو بن الحمق وطلب من الإمام أن يعمل بما يرى، فقام الأشعث بن قيس وقابل هؤلاء بالكلام الخشن وطلب كف القتال.

فقال الإمام: إني أحق من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وابن أبي سرح وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وإني أعرف بهم منكم، صحبتهم صغاراً ورجالاً فكانوا شر صغار وشر رجال!!

ويحكم! إنّها كلمة حق يراد بها الباطل، إنهم ما رفعوها أنهم يعرفونها ويعملون بها، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة، أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه، ولم يبق إلاّ أن يقطع دابر الذين ظلموا.

استمرت الحرب من يوم شروعها إلى صبيحة ليلة الهرير مائة وعشرة أيام وبلغ عدد القتلى من أهل الشام تسعين ألفاً ومن أهل العراق عشرين ألفاً والمجموع مائة وعشرة آلاف كما ذكره المسعودي.

تخاذل الخوارج

فجاء الإمام من أصحابه زهاء عشرين ألفا مقنَّعين في الحديد حاملي سيوفهم على عواتقهم، وقد اسودَّت جباههم من كثرة السجود، وهم الذين صاروا بعد ذلك خوارج، فنادوا الإمام باسمه لا بإمرة المؤمنين وقالوا: يا علي أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، وإلاّ قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فو الله لنفعلها إن لم تجبهم.

فقال الإمام عليه السلام: ويحكم!! أنّا أوّل من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجاب... ولكني قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم، وأنّهم ليس العمل بالقرآن يريدون.

كان مالك الأشتر في تلك الساعة يقاتل ويتقدم لحظة بعد لحظة، وجيش معاوية كان ينسحب وينقرض ساعة بعد ساعة ولو أمهلوا الأشتر ساعة واحدة لانتهت الحرب.

فصاح هؤلاء: يا أمير المؤمنين ابعث إلى الأشتر ليأتيك.

فبعث الإمام رجلاً إلى الأشتر: أن ائتني.

فقال الأشتر: ليس هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني عن موقفي، إنّي قد رجوت الفتح فلا تعجلني.

إصرار على الخذلان

رجع الرسول فأخبر الإمام، وحمل الأشتر على أهل الشام وظهرت علامات الفتح، ولكن القوم قالوا: يا أمير المؤمنين ما نراك إلاّ أمرته بالقتال.

فقال الإمام: أرأيتموني شاورت رسولي إليه؟ أليس إنما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون؟ فقالوا: ابعث إليه، وإلاّ فوالله اعتزلناك!! فذهب الرسول إلى الأشتر وأخبره عن اختلاف القوم، وما كان الأشتر يحب مغادرة جبهة القتال في تلك الساعة الحرجة فقال له الرسول: أتحبّ أنّك ظفرت ههنا، وأنّ أمير المؤمنين بمكانه الذي هو فيه يفرج عنه ويسلم إلى عدوه؟؟، فقال الأشتر: سبحان الله!! لا والله، لا أحب ذلك فقال الرسول: فإنّهم قد حلفوا عليه لترسلنّ إلى الأشتر فليأتيك أو لنقتلنّك بأسيافنا كما قتلنا عثمان أو لنسلمك إلى عدوك!! أقبل الأشتر مغضباً وصاح بالقوم: يا أهل الذلّ والوهن أحين علوتم القوم وظنوا أنّكم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها... فلا تجيبوهم، أمهلوني فإني قد أحسست بالفتح. قالوا: لا نمهلك.

عتاب واختلاف

جرى كلام طويل وعتاب بين الأشتر والقوم وآل الأمر إلى السب والشتم والصياح، فصاح بهم الإمام عليه السلام، فكفوا، فصاح القوم: إنّ أمير المؤمنين قد رضي المحاكمة بحكم القرآن.

كان الإمام ساكتاً لا يتكلم، والقوم يتكلمون، ولما سكتوا قال الإمام: أيها الناس إن أمري لم يزل معكم على ما أحب إلى أن أخذت منكم الحرب... ألا: إنّي كنت أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأموراً وكنت ناهياً فأصبحت منهياً، وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون.

اضطربت أقوال الرجال وقام الرؤساء وتكلموا بما تكلموا من الموافقة على رأي الإمام ورفض المحاكمة، ولكن المهرِّجين نشروا هذه الكلمة: إن أمير المؤمنين رضي التحكيم.

ودخل الأشعث بن قيس – رأس الفساد – واستأذن من الإمام ليكون رسولاً إلى معاوية فأذن له الإمام، فجاء الأشعث ودخل على معاوية وقال: لأيّ شيء رفعتم هذه المصاحف؟ فقال معاوية: لنرجع إلى ما أمر الله به فيها، فابعثوا رجلاً منكم ترضون به، ونبعث رجلاً منّا، ونأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله، ولا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقنا عليه.

انتخاب الحكمين

أقبل جماعة من أصحاب الإمام وجماعة من أصحاب معاوية واجتمعوا بين الصفين وتذاكروا حول انتخاب (الحكم) فانتخب أهل الشام عمرو بن العاص، وانتخب الأشعث ونظراؤه أبا موسى الأشعري فرفض الإمام أبا موسى ولم يرض به، وقال الأشعث وجماعة: لا نرضى إلاّ به، فلم يوافق الإمام وانتخب ابن عباس ليكون (حكماً) فلم يرض الأشعث بابن عباس لأنّه من أقارب الإمام فاختار الأشتر فلم يرضوا به.

جادل الأشعث بكل وقاحة وصلافة، وردّ على الإمام جميع مقترحاته وبقي مصراً على الأشعري، فقال الإمام: فاصنعوا ما شئتم! وكان يصفق بيديه ويقول: يا عجباً! أُعصى ويطاع معاوية؟!

أرسلوا إلى أبي موسى وكان في الشام فجاء إلى معسكر الإمام، فجاء الأشتر ورشح نفسه ليكون هو الحكم، وجاء الأحنف بن قيس وحذّر الإمام من الأشعري وعجزه وضعف نفسه ورشح نفسه للحكم فوافق الإمام على ذلك، ولكن الناس رفضوا وقالوا: لا يكون إلا أبا موسى.

كتاب واختلاف

وكتبوا كتاب الموادعة وهذه صورته: هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان... فلما قرأ معاوية الكتاب قال: بئس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته!! أعيد الكتاب إلى الإمام وأخبروه فأمر الإمام بمحو كلمة (أمير المؤمنين) فنهاه الأحنف عن ذلك، فقال الأشعث: أمح هذا الاسم...!! فقال الإمام: إن هذا اليوم كيوم الحديبية حين كتب الكتاب عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو... فقال سهيل: لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أخالفك، إني إذن لظالم لك... ولكن أكتب: محمد بن عبد الله.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا علي إني لرسول الله وأنا محمد بن عبد الله، ولن يمحو عني الرسالة كتابي لهم. إن ذلك الكتاب أنا كتبته بيننا وبين المشركين، واليوم أكتبه إلى أبنائهم كما كان رسول الله كتبه إلى آبائهم شبهاً ومثلاً.

فقال عمرو بن العاص: سبحان الله! أتشبهنا بالكفار ونحن مسلمون؟ فقال الإمام: يا بن النابغة ومتى لم تكن للكافرين ولياً وللمسلمين عدواً؟

ولما أرادوا تنظيم الكتاب سألوا الإمام: أتقر أنهم مسلمون مؤمنون؟ فقال الإمام: ما أقرّ لمعاوية ولا لأصحابه أنّهم مؤمنون ولا مسلمون ولكن يكتب معاوية ما شاء ويقر بما شاء لنفسه ولأصحابه ويسمي نفسه بما شاء وأصحابه.

فكتبوا الكتاب، وكان في أعلى الكتاب خاتم أمير المؤمنين وفي أسفله خاتم معاوية وشهد الشهود عليها وخرج الأشعث بالكتاب وقرأه على أهل العراق فهاج الناس وظهرت الفتنة والانقسام والتفرقة وتكونت الخوارج وصاحوا: لا حكم إلا لله. فأين قتلانا يا أشعث؟ وحمل بعضهم على الأشعث ليقتله.

وأقبل الناس إلى الإمام مستنكرين للحكومة وطلبوا من الإمام نقض العهد والرجوع إلى الحرب فقال الإمام: ويحكم! أبعد الرضا والميثاق والعهد نرجع؟ أليس الله تعالى قد قال: ﴿ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾؟ وقال: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ الله إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ الله عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ الله يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾. [النحل:٩١]

فبرأ الخوارج من الإمام وبرأ



منهم، وأقبل الجيش يستأذنون الإمام بالهجوم على معاوية فقال الإمام عليه السلام: لو كان هذا قبل المعاهدة وسطر الصحيفة لأزلتهم عن عسكرهم.

اجتماع الحكمين

توجه الأشعري للاجتماع بابن العاص للمحاكمة، فحذره الناس عن ابن العاص وغدره ومكيدته وسوء سوابقه حتى يتخذ التدابير اللازمة ويكون على بصيرة من أمره، ولكن كان كل هذا بلا جدوى بل كانت النتيجة معكوسة.

اجتمع الحكمان في المكان المعد لهما فقال عمرو: تكلم يا أبا موسى فقال الأشعري: بل أنت تكلم. فقال عمرو: ما كنت لأفعل وأقدم نفسي قبلك، ولك حقوق كلها واجبة... فتكلم أبو موسى فقال عمرو: إن للكلام أولاً وآخراً ومتى تنازعنا الكلام لم نبلغ آخره حتى ننسى أوله، فاجعل ما كان من كلام بيننا في كتاب يصير إليه أمرنا؟ فقال أبو موسى: اكتب، دعى عمرو بصحيفة وكاتب.

وبعد سؤال وجواب وخداع وتزوير قال الأشعري: قد علمت أن أهل العراق لا يحبون معاوية أبداً، وأنّ أهل الشام لا يحبون علياً أبداً، فهلم نخلعهما ونستخلف عبد الله بن عمر بن الخطاب.

فقال عمرو: أيفعل ابن عمر؟ قال: نعم، إذا حمله الناس على فعل ذلك فعل. فقال عمرو: فهل لك في سعد بن أبي وقاص؟ قال: لا. فذكر ابن العاص جماعة والأشعري لا يرضى بهم. فقال عمرو: قم واخطب. فقال الأشعري: قم أنت واخطب فامتنع ابن العاص وقام الأشعري وخرج من الخيمة وقد اجتمع أربعمائة رجل من أصحاب الإمام ومثلهم من أصحاب معاوية.

خطبة المنخدع

فقام الأشعري وخطب خطبة وقال: أيها الناس إنّا نظرنا في أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح ولم الشعث وحقن الدماء وجمع الألفة خلعنا علياً ومعاوية، وقد خلعت علياً كما خلعت عمامتي هذه، وخلع عمامته.

وقام عمرو وقال: أيها الناس إنّ أبا موسى عبد الله بن قيس قد خلع علياً وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب، وهو أعلم به، ألا وأنّي خلعت علياً وأثبت معاوية عليّ وعليكم.

فقال الأشعري كذب عمرو ولم نستخلف معاوية ولكنّا خلعنا معاوية وعلياً! فقال عمرو: بل كذب عبد الله بن قيس قد خلع علياً ولم أخلع معاوية.

فقال الأشعري: ما لك؟ لا وفقك الله غدرت وفجرت، إنّما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث.



فقال عمرو: بل إياك يلعن الله، كذبت وغدرت إنّما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً.

فضرب عمرو أبا موسى فسقط وضرب شريح عمراً بالسوط، فركب الأشعري راحلته وتوجه إلى مكة وحلف أن لا ينظر في وجه علي.

مظلوم التاريخ عليه السلام

لا شكّ أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام ظلم من بعض الصحابة فضلاً عن مظلوميته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد زوجته الطاهرة الصديقة فاطمة عليها السلام.

فعدم انقياد الجيش لأمير المؤمنين عليه السلام سبب الفتنة، فلا يكون الجند منقاداً لقائده إذا لم يؤمن بأنّ قائده يقاتل من أجل الحق، فإيمان الجند بالقائد هو إيمان قلبي كما أنّ الجند يؤمن بالله تبارك وتعالى بقلبه وليس بلسانه فقط.

لم يعرفوا إمامهم وقائدهم كما عرفوه حواريو أمير المؤمنين علي عليه السلام كمالك الأشتر وعمار بن ياسر وغيرهما ممن قاتل في جنب أمير المؤمنين عليه السلام، وآمن بأنّه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله بالحق، وهو إمام الأمة ومفترض الطاعة.

فعلينا أن نعرف إمام زماننا عجل الله تعالى فرجه الشريف لكي لا نقع في الفتن، بالإضافة إلى نصرته وعدم خذلانه، إنّه عليه السلام غائب عن أنظارنا لكنه ينتظر أصحاباً كمالك الأشتر وعمار بن ياسر.

السيد علي العلوي



أبو طالب عليه السلام كمؤمن آل فرعون

إننا إذا تتبعنا سير الدعوة، ومواقف أبي طالب عليه السلام فإنّنا نجد: أنّه كان بادئ ذي بدء يكتم إيمانه، تماماً كمؤمن آل فرعون، والظاهر أنه قد استمر يظهر ذلك تارة، ويخفيه أُخرى إلى أن حُصر الهاشميون في الشعب، فصار يكثر من إظهار ذلك وإعلانه.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «إنّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان، وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرتين».(أمالي الصدوق:٥٥١. أصول الكافي:١/٣٧٣)

وعن الشعبي، يرفعه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «كان والله أبو طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف مؤمناً مسلماً، يكتم إيمانه؛ مخافة على بني هاشم أن تنابذها قريش».(الغدير:٧/٣٨٨. أمالي الصدوق:٥٥٠)

ومن المعلوم أنّ محمد ابن الحنفية حمل في حرب الجمل على رجل من أهل البصرة، قال: فلما غشيته قال: أنا على دين أبي طالب، فلما عرفت الذي أراد كففت عنه.(الطبقات الكبرى لابن سعد:٥/٦٧)

وثمة أحاديث أُخرى عديدة بهذا المعنى لا مجال لذكرها.(راجع: الغدير:٧/٣٣٨. الفصول المختارة:٨٠. إكمال الدين:١٠٣)

لابد من كتمان الإيمان

ونستطيع أن نقول: إنّ كتمان إيمان أبي طالب عليه السلام كانت ضرورة لابد منها؛ لأنّ الدعوة كانت بحاجة إلى شخصية اجتماعية قوية تدعمها، وتحافظ على قائدها، شرط أن لا تكون طرفاً في النزاع، فتتكلم من مركز القوة لتتمكن الدعوة من الحركة، مع عدم مواجهة

ضغط كبير يشل حركتها، ويحد من فاعليتها.

قال ابن كثير وغيره: (إذ لو كان أسلم أبو طالب - ونحن نقول لابن كثير: إنه قد أسلم، ولكنه كتم إيمانه وإسلامه مدة - لما كان له عند مشركي قريش وجاهة، ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه، ولاجترؤوا عليه، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه). (البداية والنهاية:٣/٤١. السيرة النبوية لدحلان:١/٤٦)

مفارقات محيِّرة

كيف يحكمون لزيد بن عمرو بن نفيل ابن عم عمر بن الخطاب، ولولده سعيد بن زيد، ولورقة بن نوفل، وقس بن ساعدة، ولأبي سفيان الذي ما فتئ كهفاً للمنافقين، والذي ذكرت تصريحاتهم ومواقفهم في غزوة أُحد. (الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله:٤/٢٥٢)

إذن، كيف يحكمون لهؤلاء بالإسلام؟! بل يروون عنه صلى الله عليه وآله: أنه قال عن أُمية بن أبي الصلت: أنّه كاد أن يسلم في شعره. (صحيح مسلم:٧/٤٨)

ويقول الشافعي عن صفوان بن أُمية: (وكان كأنه لا يشك في إسلامه)، لأنّه حين سَمِع يوم حنين قائلاً يقول: غلبت هوازن، وقُتل محمد، قال له: (بفيك الحجر، فوالله، لرب قريش أحب إلي من رب هوازن). (الأغاني:٣/١٩٠)

فكيف يحكمون لكل هؤلاء بالإسلام، أو بالاقتراب منه، وهم لم يدركوا الإسلام، أو أدركوه ولم يسلموا، أو أظهروا الإسلام، وأبطنوا الكفر؟

ثم يحكمون بالكفر على أبي طالب عليه السلام، الذي ما فتئ في الفترة الأخيرة، ربما بعد الهجرة إلى الحبشة يؤكد ويصرح عشرات المرات في أقواله وفي أفعاله، ويعلن بالشهادة لله بالوحدانية، ولنبيه صلى الله عليه وآله بالنبوة والرسالة؟! ما لهم كيف يحكمون!

ما هو ذنب أبي طالب رضوان الله عليه؟

ولكننا رغم كل ذلك نقول: إنّه يؤخذ على أبي طالب عليه السلام شيء واحد، هو من أكبر الذنوب، وأعظم السيِّئات والعيوب، التي يستحق من يتلبس بها - شاء أم أبى - الحساب العسير، ولا بد أن يحرم لأجلها من كل امتياز، ويسلب منه كل وسام.

وهذا الذنب العظيم والجسيم هو أنه كان أباً لذلك الرجل الذي تكرهه قريش، ويبغضه الحكام، ويشنؤه أهل الباطل.. وكانوا وما زالوا يتمنون له كل سوء، وكل ما يسوء، وقد قطعوا رحمه، وجهدوا للحط من شأنه، وصغَّروا عظيم منزلته، لا لشيء سوى أنه كان قد قتل آباءهم وإخوانهم على الشرك والكفر، وهو يدافع عن دين الله سبحانه، ويجاهد في سبيل الله، بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذا الرجل هو - بصراحة - ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوج ابنته، وأبو سبطيه، وهو المسمى بـ(علي) أمير البررة، وقاتل الكفرة الفجرة، الذي كان مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله، وكان الولي والوصي صلوات الله وسلامه عليه وعلى أبيه، وعلى الأئمة الأطهار من بنيه.

فكان لابد - بنظرهم - من نسبة كل عظيمة إليه، وإلى أبيه أبي طالب عليه السلام، ووضع الأحاديث المكذوبة في حقهما، وتزوير تاريخهما، ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

فحفلت مجاميعهم الحديثية والتاريخية بألوان من الدجل والتزوير، وأفانين من الكذب والبهتان، والأفائك والأباطيل، حتى لقد نسبوا إلى أبي طالب عليه السلام الكفر - والعياذ بالله - ولو كان ثمة شيء أعظم من الكفر لنسبوه إليه، ووصموه به، كيداً منهم لعلي، وسعياً منهم للنيل من مقامه، وهو الذي كان ولا يزال الشوكة الجارحة في أعين الأُمويين، والزبيريين، وجميع الحاقدين على الحق وأهله، فظهرت منهم أنواع من الافتراءات عليه، وعلى أخيه جعفر، وأبيه أبي طالب، وعلى كل شيعتهم ومحبيهم، والمدافعين عنهم.

وحين بدا لهم أن ذلك لا يشفي صدورهم شفعوه بنوع آخر من الكيد والتجني، حين سعوا إلى إطراء أعدائه، أعداء الله ورسوله، وأعداء الحق، فنسبوا فضائل أولياء الله إلى أعداء الله، حتى إنك لا تكاد تجد فضيلة ثبتت لعلي عليه السلام بسند صحيح عند مختلف الفرق الإسلامية، إلا ولها نظير في مخالفيه، ومناوئيه، والمعتدين عليه، ولكنها - في الأكثر ولله الحمد - قد جاءت بأسانيد

ضعيفة وموهونة، حتى عند واضعيها.

هـذا، ويـلاحظ: أن هـذه الأفـائـك الظالمة في حق أبي طالب عليه السلام قد ظهرت بعد عشرات السنين من وفـاة رسول الله صلى الله عليه وآلـه، الـذي كان المدافع الأول عن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه، كما يظهر من كثير من المواقف له صلى الله عليه وآله، حدثنا عنها التاريخ، وحفظتها لنا كتب الحديث والرواية، رغـم مـا بذلـه الحـاقـدون مـن جهود لطمسها، وطمـس سـواهـا مـن الحقائق الناصعة، والشواهد والبراهين الساطعة.

ولـو أن أبـا طالب رضـوان الله تعالى عليه كـان أبـاً لمعاوية مثلاً، أو لمــروان، أو لأي مـن الـذيـن تصدوا للحكم من المناوئين والمنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام، وعـن خطهم ومنهجهم، لرأيت ثم رأيت من آيات الثناء عليه ما يتلى آنـاء الليل، وأطراف النهار، ولـوجـدت الأوسمة تلاحقه، وتنهال عليه من كل حدب وصوب، وبلا كتاب ولا حساب، ولألفيت الـذيـن ينبزونه بتلكم الأكـاذيـب والأبـاطـيـل، ويرمونه بالبهتان، هم أنفسهم حملة رايات التعظيم والتبجيل، والتكبير والتهليل له رحمه الله.

ولـوجـدت مـن الأحـاديـث في فضائله ومناقبه ومـا له من كرامات وشفاعات إن دنيا، وإن آخرة، ما يفوق حد الحصر، وما يزيد ويتضاعف باطراد في كل عصر ومصر.

ولربما تجد من يدَّعي: أن أبا طالب عليه السلام قد آمن بالنبي حتى قبل أن يبعث صلى الله عليه وآلـه، كما ادَّعوه لبعض من يوالونهم ويحبونهم!!

ولعل بعضهم يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فيقول فيه كما قالوه في بعض أسلافهم: لو لم أبعث فيكم لبعث فلان!! أو ما شاكل ذلك.

هذا إن لم يدَّعوا له مقام النبوة، أو ما هو أعظم من ذلك كما ادَّعوا ذلك ليزيد لعنه الله، قاتل الإمام الحسين عليه السلام، وهادم الكعبة.



القول الصحيح

إن أبا طالب عليه السلام قد كـان محظوظاً جـداً، حيث لم يكن قريباً لهؤلاء، ولا لمن يتولاه هـؤلاء، فنجا من أن تنسب إليه فضائل مـكـذوبـة، ومـن أن يـعـطـى أوســمــة لا حـقـيـقـة لـهـا، إذ يـكـفـي هـذا الـرجـل مـن الفضائل والأوسـمـة مـا كـان قد ناله عن جدارة واستحقاق بجهاده، وبإخلاصه، وبعمله الصالح الـذي نـال بـه رضا الله سبحانه، وذلـك هـو الفضل العظيم، والحظ الأسعد، والمقام الأمجد.

مفارقات.. ذات دلالة

الغريب في الأمر: أن من هؤلاء القوم، من يرى أن قاتل عمار بن ياسر من أهل الجنة، وأن ابن ملجم مجتهد في قتله الإمام علياً عليه السلام، ثم هم يدافعون عن يزيد ابن معاوية لعنه الله، ويعتبرونه من أهل الجنة، بل ادَّعى له بعضهم النبوة قبحهم الله وإياه.

كما أن البعض كابن عربي يرى: أن فرعون مؤمن، وأنّ عبدة العجل موحدون مؤمنون، إلى غير ذلك من ترهات وأباطيل وأضاليل.

هذا عدا عن أنهم قالوا: إن حاتم الطائي يدخل النار لكنه لا يعذب بها لجوده، وأن كسرى لا يعذب لعدله، وأن أبا سفيان، أبا معاوية الذي يقول لعثمان حينما صارت إليه الخلافة: قد صارت إليك بعد تيم وعدي، فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أُمية، فإنما هو الملك، ولا أدري ما جنة ولا نار. (النزاع والتخاصم:٢٠)

إن أبا سفيان هذا، مؤمن تقي عادل، معصوم، وأن أبا طالب عليه السلام - أو قل: أبو الإمام علي عليه السلام - كافر مشرك، وفي ضحضاح من نار، يبلغ كعبه، ويغلي منه دماغه!!

نعم.. ما عشت أراك الدهر عجباً!!

حال أبي طالب رضوان الله عليه حال رسول الله صلى الله عليه وآله

فإنّ حال أبي طالب عليه السلام مع الأُمويين وأشياعهم، ومن افترى عليه بغضاً منه بولده علي عليه السلام.. يشبه إلى حد كبير حال النبي صلى الله عليه وآله مع المشركين، الذين حكى القرآن حالهم بقوله: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً ﴾ .[الإسراء:١٧]

إن مبغضي أبي طالب يقولون: لن نقر بإيمان هذا الرجل، ولو تضافرت على ذلك كل الأدلة والشواهد، وحتى لو نص الله ورسوله عليه.

فبئس الخلف من الأُمويين وأشياعهم، ومن الزبيريين وأتباعهم، ومن كل شانئ لعلي، ومصغر لشأنه، لبئس السلف من طواغيت الجاهلية وعتاتها، ومن قتلة الأنبياء وفراعنة الأرض، وجبابرتها.

موقف أبي لهب من دعوة النبي صلى الله عليه وآله

ثم إننا نشير أيضاً هنا إلى أنهم يذكرون: أنّه بعد أن توفي أبو طالب عليه السلام أعلن أبو لهب استعداده لنصرة النبي صلى الله عليه وآله.

فاحتالت قريش، فأخبرته أنه يقول: إن أباك عبد المطلب في النار، فسأله عن ذلك، فأخبره بما طابق ما أخبروه به؛ فتخلى عن نصرته، وانقلب ليكون عدواً له ما عاش. (البداية والنهاية:٣/١٣٤)

نقول

إننا لا نشك في كذب هذه القضية.

أولاً: كيف لم يعلم أبو لهب طيلة عشر سنين من عدائه للنبي، ومحاربته له: أن هذا هو رأيه صلى الله عليه وآله ورأي الإسلام في كل من يموت مشركاً بالله تعالى؟! وعلى أي شيء كان يحاربه طيلة هذه المدة إذن؟!

بل إن أبا لهب كان من أهم الشخصيات القوية التي كانت تدير حركة الصراع ضد الإسلام العظيم، ونبيه الكريم، فكيف يمكن أن يجهل حملة لواء الشرك هذا الأمر، ويعرفه غيرهم؟!

ثانياً: لماذا عاداه في حياة أبي طالب عليه السلام، ثم عاد إلى حمايته ونصرته بعد وفاته؟!

أو لماذا لم يفعل أبو لهب مثل فعل أبي طالب عليه السلام؟!

ثالثاً: قد أسلفنا أن عبد المطلب لم يكن مشركاً، بل كان على دين الحنيفية مؤمناً صادق الإيمان.

سر افتعال الرواية

ولعل سر افتعال هذه الرواية هنا هو إظهار: أن حماية أبي طالب عليه السلام للرسول قد كانت بدافع العصبية والحمية القبلية، أو الحب الطبيعي.

ولكن أين كانت حمية وعصبية أبي لهب قبل هذا الوقت، وأين كان حبه الطبيعي لابن أخيه؟

ولاسيما حينما حصرت قريش الهاشميين في الشعب، وكادوا يهلكون جوعاً؟!

وأين ذهبت حميته بعد ذلك؟

وهو الذي كان يتتبع النبي محمداً صلى الله عليه وآله من مكان إلى مكان يؤذيه، ويصد الناس عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.



العلامة أحمد ابن فهد الحلي

من الواضح أنّ للعلماء الأثر الكبير في حفظ الدين ونشر تعاليم أهل البيت عليهم السلام فضلاً عن الرد على الشبهات التي تثار من قبل المخالفين والمغرضين.

فعن الإمام الهادي عليه السلام أنّه قال: «لَوْلاَ مَنْ يَبْقَى بَعْدَ غَيْبَةِ قَائمِكُمْ عليه السلام مِنَ الْعُلَمَاءِ الدَّاعِينَ إِلَيْهِ وَالدَّالِّينَ عَلَيْهِ وَالذَّابِّينَ عَنْ دِينِهِ بِحُجَجِ اللهِ وَالْمُنْقِذِينَ لِضُعَفَاءِ عِبَادِ اللهِ مِنْ شِبَاكِ إِبْلِيسَ وَمَرَدَتِهِ وَمِنْ فِخَاخِ النَّوَاصِبِ لَمَا بَقِيَ أَحَدٌ إِلاَّ ارْتَدَّ عَنْ دِينِ اللهِ وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يُمْسِكُونَ أَزِمَّةَ قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الشِّيعَةِ كَمَا يُمْسِكُ صَاحِبُ السَّفِينَةِ سُكَّانَهَا أُولَئِكَ هُمُ الأَفْضَلُونَ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَل».

فمن أراد البلوغ إلى الغاية من وجوده وحصول مرضاة الله سبحانه وتعالى عليه أن يتّبع العلماء فيما أوردوه عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

العلامة ابن فهد الحلي

من أكابر علماء الإمامية في فترة القرن التاسع الهجري الشيخ العلامة ابن فهد الحلي قدس سره، ولد في الحلة وعاش بها مدّة شبابه حتى أدّى انتقاله إلى كربلاء إلى انتقال المرجعية معه.

بعد البحث في كتب التاريخ وجدت أنّ حياته قدس سرّه مقسمة إلى مراحل قضاها في خدمة الدين معضمها في الحلة وكربلاء وبعدها في لبنان، وقد هاجر إلى لبنان في مهمة علمية.

اسمه ونسبه

هو الشيخ العلامة جمال الدين أحمد بن شمس الدين ابن محمد بن فهد الحلي الأسدي.(الرسائل العشر:٥)

وهو غير العلاّمة شهاب الدين أحمد بن فهد بن إدريس الأحسائي.

وإن اتفق توافقهما في العصر والاسم والنسبة إلى فهد الذي هو جد في الأول وأب في الثاني، وهو غير أبي العباس الحنفي المتوفى سنة ٦٧٢.(عدة الداعي:٢)

ولادته ونشأته

ولد العلامة أحمد في سنة ٧٥٧هـ ونشأ وترعرع في بيت مفعم بالعلم والفضيلة والتقوى وقد أمضى معظم عمره في العهد الجلائري حيث حكم الجلائريون من سنة ٧٤٠ -٨١٣ هـ وزعيم هذه الأسرة هو الشيخ حسن الجلائري، ثم أعقبه السلطان ويس وبعده السلطان حسين والسلطان أحمد.

وقد عاش أحمد بن فهد الحلي ٥٦ سنة من عمره الذي ناهز الرابعة والثمانين في مدينة الحلة وذلك في العصر الجلائري.(تجارب العلماء في عصور الغيبة:٣٧١/١)

وكانت من أهم مدن العراق المزدحمة بالعلماء والمدارس الدينية والمعاهد العلمية للطائفة الشيعية آنذاك، وكانت

من طليعة المراكز الثقافية والعلمية في عصرها.(نبذة عن حياة العلامة الحلي:٤)

في هذه الظروف الملائمة شرع الشيخ بتعلم القراءة والكتابة وأخذ بالذهاب إلى الكتاتيب مع أقرانه.(تجارب العلماء في عصور الغيبة:٣٧٢/١)

هجرته إلى كربلاء

هاجر إلى كربلاء المقدسة وانتقلت معه المرجعية إلى حوزة كربلاء العلمية حيث ازدهرت الحوزة بطلبة العلوم الدينية والفضلاء والفقهاء الذين وفدوا إلى كربلاء من مختلف الأقاليم الإسلامية كـ(إيران والهند وأذربيجان) وغيرها من المناطق الإسلامية.

وقد أشار بن بطوطة في رحلته إلى كربلاء المقدسة سنة ٧٣٧هـ إلى وجود مدرسة علمية كبيرة إلى جانب الضريح المقدس للإمام الحسين عليه السلام، فمن هنا يظهر دور الشيخ الحلي في تنشيط الحركة العلمية في كربلاء.

فأصبحت كربلاء مركزاً علمياً عند الشيعة بعد أن تراجع دور جبل عامل لاستشهاد الشهيد الأول. (نبذة عن حياة العلامة الحلي:٤)

هجرته إلى لبنان

سافر العلامة الحلي إلى جبل عامل في مهمة علمية والتقى بالشهيد الأول حيث اطلع على بعض نسخ كتاب الأربعين للشهيد الأول.(أعيان الشيعة:٥١٢/٤)

مناظراته

كان العلامة ابن فهد الحلي متبحراً وقديراً في البحث العلمي والنقاش وله مناظرات عديدة مع أتباع المخالفين خصوصاً في المواضيع العقائدية كـ(إمامة أهل البيت عليهم السلام وولايتهم) وقد ناقش علماء السنة وبحضور وطلب من أمير العراق آنذاك (أسبان بن قرا يوسف) وكان سبباً في اعتناقه مذهب أهل البيت عليهم السلام حيث ألقى الأمير الخطبة باسم أمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام وضرب باسمهم النقود الحديدية آنذاك فجرت المناقشة عام٨٣٦هـ بعد أن سقطت الدولة الجلائرية باحتلال الأمير أسبان للحلة في العام نفسه.(أعيان الشيعة:٥٢٠/٤)

أساتذته

درس العلامة الحلي وتتلمذ على يد علماء وأساتذة عدة منهم علي بن الخازن الحائري وكان من تلامذة الشيخ العلامة علي بن هلال الجزائري وكان يروي عن جملة من تلامذة الشهيد الأول وتلامذة فخر المحققين ومنهم المقداد السيوري وابن المتوج البحراني وابن السيد المرتضى بهاء الدين علي بن عبد الكريم بن عبد الحميد النساب الحسيني النجفي والشيخ نظام الدين علي بن عبد الحميد النيلي الحائري عن فخر الدين ولد العلامة والشيخ ضياء الدين أبوالحسن علي بن الشهيد الأول.

ووجد على ظهر بعض نسخ الأربعين للشهيد منقولاً عن خط ابن فهد ما صورته حدثني بهذه الأحاديث الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو الحسن علي بن الشيخ الإمام الشهيد أبي عبد الله شمس الدين محمد بن مكي جامع هذه الأحاديث قدس الله سره بقرية جزين حرسها الله تعالى من النوائب في ١١ من شهر محرم الحرام افتتاح سنة ٨٢٤ هـ وأجاز لي روايتها بالأسانيد المذكورة ورواية غيرها من مصنفات والده.(أعيان الشيعة:٥١٥/٤)

ومن مشايخه جلال الدين عبد الله بن شرف شاه وعبد السميع بن فياض الأسدي، وضياء الدين علي بن الشهيد الأول وجمال الدين محمد بن عبد المطلب بن الاعرج الحسيني.(موسوعة طبقات الفقهاء:٦٤/٩)

تلامذته

من تلامذته الشيخ عز الدين حسين بن علي بن أحمد ابن يوسف المعروف بابن العشرة الكركي العاملي، والشيخ ظهير الدين بن علي بن زين العابدين بن الحسام العاملي العيناثي، والشيخ زين الدين علي بن هلال الجزائري صاحب كتاب الدر الفريد في التوحيد.

والشيخ علي بن عبد العالي الكركي، والشيخ عبد السميع الحلي صاحب كتاب تحفة الطالبين في أصول الدين، والسيد محمد بن فلاح الموسوي، والشيخ محمد ابن طي العاملي مؤلف كتاب مسائل ابن طي، والشيخ رضي الدين الشهير بابن راشد القطيفي والشيخ زين الدين علي بن محمد بن علي العاملي وقيل من تلامذته

محمد نور بخش.(نبذة عن حياة العلامة الحلي:٩)

مؤلفاته

للشيخ العلامة تصانيف كثيرة أغلبها في الفقه أودع فيها آراءه التي أصبحت مرجعاً علمياً ومستنداً للفقهاء فمن كتبه، (المهذب البارع في شرح المختصر النافع للمحقق الحلي)، و(المقتصر من شرح المختصر)، و(التحصين في صفات العارفين من العزلة والخمول)، و(كتاب التحرير)، و(عدة الداعي ونجاح الساعي في آداب الدعاء) وهو من أشهر كتبه، و(شرح الألفية في فقه الصلاة للشهيد الأول)، و(التواريخ الشرعية عن الأئمة المهدية)، و(كتاب الرسائل العشرة)، و(يضم الموجز الحاوي لتحرير الفتاوى)، و(المحرر في الفتوى)، وكتاب (اللّمعة الجلية في معرفة النية)، وكتاب (مصباح المبتدي وهداية المقتدي)، وكتاب (غاية الإيجاز لخائف الأعواز)، وكتاب (كفاية المحتاج آلى مناسك الحاج)، و(رسالة وجيزة في واجبات الحج)، وكتاب (جوابات المسائل الشامية الأولى)، وكتاب (جوابات المسائل البحرانية)، وكتاب (نبذة الباغي فيما لابد من آداب الداعي) وهو تلخيص (لعدة الداعي) ، وكتاب (أسرار الصلاة)، و(رسالة في العبادات الخمس)، وكتاب (المصباح في وجبات الصلاة)، وكتاب (الفصول في الدعوات)، وكتاب (الأدعية والختوم). (موسوعة طبقات الفقهاء:٩/٦٦)

أقوال العلماء فيه

ذكر الكثير من علماء الدين مكانة الشيخ ابن فهد ومنهم ما ذكره العلامة الحر العاملي في كتابه (أمل الأمل) حيث قال إنه (عالم فاضل ثقة زاهد عابد ورع جليل القدر... صدوقاً).(تكملة الرجال)

وجاء في كتاب (رياض العلماء): (العالم الفاضل العلامة الفهامة الثقة الجليل الزاهد العابد الورع العظيم القدر).

وفي تكملة الرجال للشيخ عبد النبي الكاظمي نزيل جبل عامل قال: (الشيخ العالم الزاهد أبو العباس أحمد بن فهد الحلي يروي عن الشيخ ابن الخازن تلميذ الشهيد الأول وكان زاهداً عابداً).(أعيان الشيعة:٤/٥٢٠)

وذكره السيد مهدي بحر العلوم في كتابه (الفوائد الرجالية) نقلاً عن العلامة المجلسي يروي عن الشيخ ابن الخازن تلميذ الشهيد الأول: وكان زاهداً عابداً.

والسيد علي البروجردي في كتابه (طرائف المقال): فاضل فقيه مجتهد كامل زاهد عابد ورع تقي.

وقد ذكره السيد الخوئي في كتابه معجم رجال الحديث فقال فيه: فاضل عالم زاهد ورع جليل القدر.

وفاته

توفي العلامة أحمد بن فهد الحلي رضوان الله تعالى عليه في سنة ٨٤١هـ وهو يبلغ من العمر ٨٥ سنة في مدينة كربلاء المقدسة ودفن في بستان بالقرب من ضريح الإمام الحسين عليه السلام ومرقده الآن في شارع قبلة الإمام عليه السلام.



علي جواد عباس



السلام عليك يا أبا الحجّة المنتظر

يذكر في التاريخ أنّ الإمام العسكري عليه السلام ولد في شهر رمضان أو ربيع الآخر، سنة اثنتين وثلاثين ومائتين للهجرة، وانتقل إلى جوار ربّه في يوم الجمعة، لثماني ليالٍ خلون من شهر ربيع الأوّل سنة ستّين ومائتين.

كان من أصغر الأئمّة عليهم السلام عمراً، فقد كان عمره ثمانياً وعشرين سنة يوم استشهاده مسموماً بسم دس إليه عند معتمد العباسي لعنه الله.

وقد استفاض المؤرخون في ذكر فضله، حيث يقول الشيخ المفيد: (كان الإمام بعد أبي الحسن عليّ بن محمّد عليهما السلام ابنه أبا محمدٍ الحسن بن عليّ، لاجتماع خلال (خصال) الفضل فيه، وتقدّمه على كافّة أهل عصره في ما يُوجبُ له الإمامة ويقتضي له الرئاسة، من العلم والزهد وكمال العقل والعصمة والشجاعة والكرم وكثرة الأعمال المقرّبة إلى الله). (الإرشاد:٣١٣)

لقب بالعسكري

لَقَبُ (العسكري) فنسبةً إلى البلد التي كان يُقيم فيها، وهي التي تسمّى الآن (سامرّاء) أو (سُرَّ مَنْ رأى)، وقد بنى هذه المدينة الحكّام العباسيّون، وذلك لإقامة الجند فيها، فإنَّ أغلب النّاس الذين كانوا يقطنون هذه المدينة يُطلق عليهم لقب (العسكريّ).

والإمام العسكري عليه السلام كان كآبائه من أئمة أهل البيت عليهم السلام في موقع الإمامة من أجل إرشاد النّاس وفتح قلوبهم وعقولهم على الإسلام الأصيل الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله، وسار فيه أئمة أهل البيت عليهم السلام، باعتبار أنّهم أمناء الله على الرسالة، ولأنهم خلفاء الله في أرضه وحججه على عباده، وقد تتلمذ على يد الإمام العسكري عليه السلام الكثير من الرواة والعلماء، وكان أثّره في مجتمعه بالرغم من حداثة سنه تأثيراً كبيراً جدّاً، حتى أنَّ أعداءه كانوا يشهدون له بما يشهد له به أولياؤه.

فعلى الرغم من أنّه كان أصغر الأئمة عمراً، لكنّه استطاع أن يستولي على ثقة المجتمع كلّه، وكان يُقَدَّم على شيوخ بني هاشم، والمجتمع كلّه يقدّمه ويثقُ به ويتحرّك باتجاه علمه وإمامته.

وإذ نتحدث في هذه الأسطر عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، حيث القيمة في هذا الحديث، هي أنَّ القليل من الناس من يعرفون بشكل واضح خصائص حياة الأئمّة المتأخّرين عليهم السلام وأفكارهم وموقعهم، ومنهم الإمام

العسكريّ عليه السلام.

مكانته في المجتمع الإسلاميّ

وفي البداية، نحبّ أن نطلّ على ما نقله كتّاب سيرته من مكانته في المجتمع الإسلاميّ آنذاك، حيث إنّه كان يملك امتداداً من التّعظيم والإجلال في مواقع المجتمع كلّها، بما في ذلك الوزراء والقادة وطبقات المجتمع، حتى إنَّ بعض الّذين كانوا ينصبون له العداء يشهدون بذلك.

وهناك وثيقة تاريخيَّة تنقل هذا الجوّ من بعض أولاد رجال الدّولة، حيث يروي (أحمد بن عبيد الله بن خاقان)، وكان أبوه وزيراً للمعتمد العباسي على الضّياع والخراج، أنّه جرى في مجلسه ذكر العلويّة، أي المنتسبين إلى الإمام عليّ عليه السلام ومذاهبهم، وكان شديد النَّصب، أي شديد العداوة لأهل البيت عليهم السلام، فقال: (ما رأيت ولا عرفت بسرّ من رأى - أي سامراء -، رجلاً من العلويّة، مثل الحسن بن علي بن محمّد بن الرّضا، في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته وبني هاشم، وتقديمهم إيّاه على ذوي السنّ منهم والخطر - أي الموقع الكبير، فلقد كان في سنّ الشَّباب وكان هناك شيوخ من بني هاشم، وكانوا يقدّمونه عليهم - وكذلك القادة والوزراء وعامّة النّاس).(بحار الأنوار:٥٠/٣٢١)

وهذا ما يبعث على التأمّل، إذ كيف يبلغ إنسان في خطّ مضادّ لموقع الخلافة الحاكمة هذه المنزلة العالية، لأنَّ هناك الكثير من الناس ممن كان يعتبر الإمام عليه السلام أحقّ بالخلافة، لو كانت ابتعدت عن بني العبّاس؟ فمن أين يحصل إنسان في هذه السنّ، وفي هذا الواقع الّذي يمتلئ بالّذين ينصبون العداوة لأهل البيت عليهم السلام، على هذه المكانة؟

وربّما نقرأ في أكثر من حديثٍ من أحاديث الإمام العسكريّ عليه السلام، حديثه عن ناصبي العداء لهم الّذين كثروا في عهده، وكانوا يتحركون بأكثر من أسلوب، ما جعل الإمام عليه السلام يركّز على ضرورة توعية السّائرين في خطّ أهل البيت عليهم السلام، حتى لا يثير هؤلاء أمامهم الشّبهات، فلا بدَّ من أن يكون الإمام عليه السلام قد سيطر على الواقع من خلال الثقافة الّتي كان يحرّكها في ذلك الواقع، والسّموّ الروحيّ والأخلاقيّ والنّشاط الحركيّ في المجتمع، بالمستوى الذي لم يستطع أيّ أحد أن يسجّل عليه أيّة نقطة ضعف، ما جعله يفرض نفسه على الواقع كلّه.

ونتابع حديث (أحمد بن خاقان) الّذي ينقل عن أبيه الّذي كان من الشّخصيّات المبرزة في الدّولة، فيقول: (فإني كنت يوماً قائماً على رأس أبي وهو يوم مجلسه للنّاس، إذ دخل عليه حجّابه، فقالوا: أبو محمد بن الرضا في الباب - ونعرف من هذا أنّ الأئمّة عليهم السلام كانوا يلتقون بعض الشّخصيّات في الدّولة ويزورونهم، وذلك من أجل القيام ببعض مصالح المسلمين، ومراعاة الظّروف الحرجة المحيطة بهم - فقال بصوت عالٍ: ائذنوا له، فتعجّبت مما سمعت منهم أنهم جسروا - (أي تجرّأوا) - يكنّون رجلاً على أبي بحضرته، ولم يكن عنده إلا خليفة، أو وليّ عهد، أو من أمر السّلطان، أن يكنّى - فأن تذكر شخصاً بكنيته، فهذا مظهر من مظاهر التكريم، كما قال الشّاعر:

أكنّيه حين أناديه لأكرمه

ولا ألقّبه والسّوأة اللّقب

- فدخل رجل أسمر، حسن القامة، جميل الوجه، جيّد البدن، حديث السنّ، له دلالة وهيبة، فلمّا نظر إليه أبي، قام يمشي إليه خطى، ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقوّاد، فلمّا دنا منه، عانقه وقبّل وجهه وصدره، وأخذ بيده، وأجلسه على مصلاّه الّذي كان عليه، وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه، وجعل يكلّمه ويفدّيه بنفسه، وأنا متعجّب مما أرى منه، إذ دخل عليه الحاجب، فقال: (الموفّق) - وهو أخو المعتمد العباسي - قد جاء؛ وكان الموفّق إذا دخل على أبي، تقدّم حجّابه، فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدّار سماطين - (أي صفين متقابلين) - إلى أن يدخل ويخرج، فلم يزل أبي مقبلاً على أبي محمد يحدّثه، حتى نظر إلى غلمان الخاصَّة - أي خدم الموفّق - قال حينئذ: إذا شئت - (أي أن تذهب) - جعلني الله فداك؛ ثم قال لحجّابه: خذوا به خلف السّماطين حتى لا يراه هذا - يعني الموفّق - فقام، وقام أبي وعانقه ومضى، فقلت لحجّاب أبي وغلمانه: ويلكم، مَن هذا الذي كنّيتموه على أبي وفعل به أبي هذا الفعل؟ فقالوا: هذا علويّ يقال له الحسن بن عليّ، يعرف بابن الرّضا، فازددت تعجّباً، ولم أزل يومي ذلك قلقاً متفكّراً في أمره وأمر أبي، وما رأيت فيه حتى كان اللّيل، وكانت عادته أن يصلّي العتمة - (أي العشاء) - ثم يجلس، فينظر فيما يحتاج إليه

من المؤامرات – (أي المراجعات) – وما يرفعه إلى السّلطان، فلمّا صلّى وجلس، جئت فجلست بين يديه وليس عنده أحد، فقال لي: يا أحمد، لك حاجة؟ قلت: نعم يا أبه، فإن أذنت لي سألتك عنها، فقال: قد أذنت لك يا بنيّ، فقُل ما أحببت، قلت: يا أبه، مَن الرّجل الّذي رأيتك بالغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والكرامة والتّبجيل، وفديته بنفسك وأبويك، فقال: يا بنيّ، ذاك إمام الرافضة – (أي الشيعة) – ذلك الحسن بن علي المعروف بابن الرّضا، فسكت ساعةً، ثم قال: يا بنيّ، لو زالت الإمامة عن خلفاء بني العبّاس، ما استحقّها أحد من بني هاشم غير هذا، وإنَّ هذا ليستحقّها في فضله، وعفافه، وهديه، وصيانته، وزهده، وعبادته، وجميل أخلاقه، وصلاحه). (بحار الأنوار:٥٠/٣٧٥)

فمع أنَّ هذا الرّجل هو وزير من وزراء الخلافة، نراه يحمل هذا التّقدير والتعظيم الكبيرين للإمام عليه السلام، ثم يمضي قائلاً: (ولو رأيت أباه – أي الإمام الهادي عليه السلام – رأيت رجلاً جزلاً – أي سخيّ العطاء – نبيلاً فاضلاً؛ فازددت قلقاً وتفكّراً وغيظاً على أبي وما سمعت منه، واستزدته في قوله وفعله فيه ما قال، فلم يكن لي همّة بعد ذلك إلا السّؤال عن خبره والبحث عن أمره – فلقد بدأت بعد هذه المعلومات عنه، أتفحّص حقيقة هذا الرجل العظيم – فما سألت أحداً من بني هاشم والقادة والقضاة والفقهاء وسائر الناس، إلا وجدته عنده في غاية الإجلال والإعظام، والمحلّ الرّفيع، والقول الجميل، والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه، فعظم قدره عندي، إذ لم أرَ له وليّاً ولا عدوّاً إلا وهو يحسن القول فيه والثّناء عليه). (الكافي:١/٥٠٣)

إنَّ هذا النّصّ يعتبر وثيقة تاريخيَّة تدلّ على مدى مكانة الإمام عليه السلام في المجتمع كلّه، سواء عند من يدين بإمامته أو عند من يعارضها، وليس لذلك من تفسير سوى أنَّ الإمام عليه السلام استطاع أن يفرض نفسه على المجتمع كلّه، من خلال الملكات القدسيّة الّتي كان يتمتّع بها في جميع جوانب المعرفة والروحانيّة والصّلاح والخلق الرفيع.

سجن الإمام عليه السلام

ذكر في سيرة الإمام العسكريّ عليه السلام أنّ المعتمد العباسي حبسه، ونحن نعرف أنّ الأئمّة عليهم السلام كانوا يُسجنون في عهد بني العبّاس، حيث كان هؤلاء يعرفون أنّ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام يملكون امتداداً روحيّاً ينفتح



على امتداد سياسيّ معرفيّ، يحمله النّاس في نفوسهم لأهل البيت عليهم السلام، لأنهم يعتبرونهم في موقع الإمامة، وربّما يرون أنّ لهم الشرعيّة في موقع السّلطة، ولذلك، كانوا يوكّلون عناصر مخابراتهم لرصد حركة كلّ إمام، بغية محاصرته، مخافة انفتاحه على المجتمع، وتخويف النّاس من اللّقاء به، وربّما كانوا بين وقت وآخر يعملون على إيذاء هذا الإمام أو ذاك، بزجّه في السّجن.

وهنا، ينقل التّاريخ لنا كيف كان تأثير الإمام عليه السلام في السِّجن، ففي الرّواية عن عليّ بن محمد عن محمد ابن إسماعيل العلوي، قال: (حبس أبو محمد عند علي بن نارمش، وهو أنصب الناس وأشدّهم على آل أبي طالب، وقيل له: افعل به وافعل، فما أقام عنده إلا يوماً حتى وضع خدّيه له – كناية عن الخضوع والتذلّل – وكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً وإعظاماً، فخرج من عنده وهو أحسن النّاس بصيرةً، وأحسنهم فيه قولاً). (الكافي:١/٥٠٨)

وقد كان تأثير الإمام العسكريّ عليه السلام الرّوحيّ في هذا الرّجل قويّاً، ووصل إلى درجة أنّه استطاع فيها أن يقلب تفكيره كلّه ووجدانه كلّه، وإذا به يتحوَّل من عدوٍّ لدود إلى صديق حميم، بل تحوَّل إلى داعية إلى الإمام عليه السلام.

وفي رواية أخرى: (دخل العباسيّون على صالح بن وصيف – وهو الّذي يتولّى سجن الإمام – ودخل صالح بن عليّ وغيره من المنحرفين عن هذه النّاحية – أي ناحية الأئمَّة من مخالفيهم – على صالح بن وصيف عندما حبس أبا محمد – وكأنهم يشجّعونه على التّضييق على الإمام عليه السلام – فقال لهم صالح: وما أصنع – فلقد أعيتني الوسائل كلّها – وقد وكّلت به رجلين من أشرّ من قدرت عليه، فقد صارا من



العبادة والصّلاة والصّيام إلى أمر عظيم، فقلت لهما ما فيه؟ فقالا: ما تقول في رجلٍ يصوم النّهار ويقوم اللّيل كلّه، لا يتكلّم، ولا يتشاغل، وإذا نظرنا إليه ارتعدت فرائصنا، ويداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا، فلمَّا سمعوا ذلك، انصرفوا خائبين).(الكافي:١/٥١٢)

فهذا يدلّ على مدى قوّة التّأثير الروحيّ الّذي كان الإمام العسكري عليه السلام يتمتّع به، من دون أن يتكلّم مع الآخرين أو يدخل معهم في أيّ حوار، وتلك هي خصوصيَّة أهل البيت عليهم السلام، الَّذين يملكون من الملكات القدسيَّة الّتي حباهم اللّه إيّاها، ما يفيضون به على كلّ النّاس الَّذين يعيشون معهم بكلّ المعرفة للّه والرّوحانيّة والخلق العالي الّذي يجتذبون النّاس به إلى الخطّ الأصيل الّذي يمثّلونه، وهو خطّ الإسلام في منهج أهل البيت عليهم السلام.

محاولة بني العباس للتخلّص من ذرية رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله

بعد أن أدّى الإمام العسكري عليه السلام مسؤوليته بشكل كامل تجاه دينه وأمّة جده صلى اللّه عليه وآله وولده عليه السلام نعى نفسه قبل سنة ستين ومئتين، وأخذ يهدّئ روع والدته قائلاً لها: لا بد من وقوع أمر اللّه لا تجزعي...، ونزلت الكارثة كما قال، والتحق بالرفيق الأعلى بعد أن اعتلّ عليه السلام في أوّل يوم من شهر ربيع الأول من ذلك العام. (الإرشاد:٢/٣٣٦)

ولم تزل العلة تزيد فيه والمرض يثقل عليه حتى استشهد في الثامن من ذلك الشهر، وروي أيضاً أنه قد سُم واغتيل من قبل السلطة حيث دس السم له المعتمد العباسي الذي كان قد أزعجه تعظيم الأمة للإمام العسكري وتقديمهم له على جميع الهاشميين من علويين وعباسيين فأجمع رأيه على الفتك به.(الصواعق المحرقة:٣١٤)

ولم يخلف غير ولده المهدي المنتظر (الحجة عجل اللّه تعالى فرجه الشريف) وكان عمره آنذاك خمس سنين وقد آتاه اللّه الحكمة وفصل الخطاب.(الإرشاد:٢/٣٣٩)

فدفن الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى جانب أبيه الإمام الهادي عليه السلام في سامراء، وقد ذكر أغلب المؤرخين أنّ سنة وفاته كانت (٢٦٠هـ) وأشاروا إلى مكان دفنه، دون إيضاح لسبب وفاته.(تاريخ الطبري:٧/١٣٦)

وروى ابن الصباغ عن أحمد بن عبيد اللّه بن خاقان أنّه قال: لما اعتل ابن الرضا عليه السلام، بعث جعفر بن علي إلى أبي: أن ابن الرضا عليه السلام قد اعتل فركب أبي من ساعته مبادراً إلى دار الخلافة: ثم رجع مستعجلاً ومعه خمسة نفر من خدم الخليفة كلهم من ثقاته ورجال دولته وفيهم نحرير، وأمرهم بلزوم دار الحسن بن علي وتعرّف خبره وحاله، وبعث إلى نفر من المتطببين وأمرهم بالاختلاف إليه وتعاهده في الصباح والمساء، فلما كان بعدها بيومين جاءه من أخبره أنّه قد ضعف فركب حتى بكّر إليه ثم أمر المتطببين بلزومه وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره مجلسه وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممن يوثق به في دينه وأمانته وورعه فأحضرهم وبعث بهم إلى دار الحسن عليه السلام وأمرهم بلزوم داره ليلاً ونهاراً فلم يزالوا هناك حتى توفي لأيّام مضت من شهر ربيع الأول من سنة ستين ومائتين. (الفصول المهمة:٢٧١)

يتضح لنا من خلال متابعة تاريخ الإمام العسكري عليه السلام وموقف السلطة العباسية منه أنّ محاولة للتخلّص من الإمام قد دبّرت من قبل الخلفاء العباسيين خصوصاً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار سلسلة الإجراءات التي اتخذتها السلطة إزاء الإمام علي الهادي عليه السلام أوّلاً، ثم ما اتخذته من إجراءات ضد الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فقد قامت بسجنه عدّة مرات فضلاً عن المراقبة المشددة على بيته، كما حاولت نفيه إلى الكوفة، وغيرها من الإجراءات التعسّفيّة ضدّه وضد شيعته وضد العلويين، ووفقاً لذلك وبضم رواية أحمد بن عبيد اللّه بن خاقان والذي كان أبوه أحد أبرز رجالات الدولة، يتأكّد لنا أنّ استشهاد الإمام العسكري عليه السلام كانت وراءه أيدي السلطة الآثمة دون أدنى شك.



الدعـوة لإقـــامة الصلاة

ما هـو الطريـق الناجـح لدعـوة النـاس إلى الصلاة بالوجـه المطلوب فـرُبّ عائلـةٍ يصلّـي الأب دون الأم، أو بالعكـس، وربما الولـد يصلّي دون والديهما أو بالعكـس، وهكـذا في كل طبقـات المجتمع وأصنافهـم، فكيف نجعل الصــلاة وإقامتهـا في مجتمعاتنا الإسـلامية هي الطابع الأوّل الـذي يحكـي عـن تمسكهم بالديـن الإسـلامي الحنيـف؟ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ﴾.[الحـج:٤١]

لو رجعنا إلى مصدر تشريعنا القرآن الكريم والعترة الطاهرة عليهم السلام في خصوص الصلاة نرى أنه يذكر بعض العلّل، منها ما يلي:

أولاً: إنها كبيرة إلاّ على الخاشعين

قـال اللّه تبـارك وتعـالى في كتابـه الكـريم: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾.[البقرة:٤٥]

والخشوع هو لين القلب والضراعة وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب.

وروي عن رسـول اللّه صلى اللّه عليه وآلـه قولـه: «إذا ضرع القلب خشعت الجوارح».(تخريج أحاديث الإحياء:١/٣٣٩)

وقـال سـبحانه وتعـالى: ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾ [الإسـراء:١٠٩]، أو يقـول: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون:٢]، وقولـه: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]، وقـال تعـالى: ﴿وَخَشَعَتْ الأَصْوَاتُ﴾ [طـه:١٠٨]، وقـال عـزّ وجـل: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾.[المعـارج:٤٤]

فلابّد أن تكون الصلاة بقلب خاشع ومتضرّع وليّن.

سؤال

كيف نجعل قلوبنا ليّنة؟

الجواب

إنّ القلـب يقسـو بالذنـوب والظلـم حتـى يكـون كالحجارة أو أشـدّ، كما يلين بالتوبة والبكاء والاسـتغفار والإيمـان، ومن أهـم الطرق للين القلب مـا يذكر في هذا السـبيل أن نذكّر من قسـي قلبه بنِعـمَ اللّه وآلائه، كالأُم التي تذكّر سـهر لياليهـا وألطافها ومحبّتهـا لبنتها حتى يلـين قلبهـا، وكذلـك الأب عندمـا يذكـر حبّـه لولده في طفولتـه، فإنّه يكسـب بذلـك لين قلب والـده في إطاعته.

وفي هـذا السـياق ترى القـرآن الكريم يذكـر خدمات الأُم للولـد في مقام برّه بأُمّه بأنّه حملته عدة أشـهر وهناً علـى وهن، وأرضعته وكان الحمـل والرضاعة في حولين، قولـه تعـالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ﴾.[لقمان:١٤]

وقال تعـالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾.[الأحقاف:١٥]

فيلين قلب الولد عندما يتفاعل بهذا اللّطف الإلهي

الذي تمثّل في حنان الأم ولطفها، وهذا مودوع في فطرة الإنسان الحبّ للجمال والكمال، فإنه عندما يُذكّر برحمات الآخرين فإنه يلين قلبه بالنسبة إليهم، فمن يذكر نِعَم الله التي لا تعّد ولا تُحصى فإنّه يلين قلبه، فيحب ربّه، كما قال سبحانه لموسى على نبيّنا وآله وعليه السلام: «أحببني وحببّني إلى الناس»، فقال موسى: «عرفت كيف أحبك ولكن كيف أحببك إلى الناس؟»، فقال تعالى: «ذكّرهم بآلائي ونعمائي».

فحينئذٍ علينا لمن لا يصلّي أو يتهاون بها ويتكاسل عنها أو لم يؤدّها بالنحو المطلوب بشرائطها وآدابها أن نذكّره بنعم الله عليه، كأن يذكر له فوائد العين والبصر، فإنه كما روي أن لأهداب ورموش العين أربعة آلاف فائدة، ولما وقف على ذلك نبّي من أنبياء الله أُوحي إليه أنك وقفت على قطرة من بحر فوائد الأهداب؟! هذا في الأهداب فما بالك بالعين فما بالك بجسم الإنسان؟ فما بالك بكل ما في هذا الكون؟! وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً، وفوق كل ذي علم عليم، فقل رب زدني علماً وألحقني بالصالحين.



ثم يا تُرى إذا تكلمنا مع شخص لساعة أو ساعات، ولكن مع الله في صلاتنا إمّا أن لا نتكلّم معه ولا نصلّي، أو نصلّي سريعاً من دون لـذّة الحديث مع الحبيب ومع الله الكريم الرّحيم الجميل، وحينئذٍ من حقّ الله سبحانه وتعالى أن يعاتبنا ويقول لنا ما أنصفتموني أيها العباد، فإنّه من يهدي إليكم هدية مثل (كامرة) تأخذ صور معدودة فإنكم تشكرونه كثيراً، وقد أهديت إليكم كامرة العين تأخذ لكم الصور بالملايين في كلّ يوم وليلة.

فهلاّ شكرتموني؟ وإني غني عن صلاتكم وإنّما حبّاً بكم أمرت بالصلاة لما جعلت فيها من المصالح الملزمة والفوائد العظيمة التي ترجع إليكم فمنكم وإليكم ولا أريد بكم إلاّ اليسر والخير والسعادة، فما لكم كيف تحكمون؟!

فـإنّ مـن فوائد الصـلاة شـكر المنعم، وتحكيـم عُلقة الحـبّ والمـودة والـولاء بـين العبد ربّـه فمـن يتوجه إلى النّعم الإلهية يخشـع قلبه، ويلين وتخضع جوارحه، فيقيم الصـلاة بخشـوع قلبي حميـد، وخضـوع جوارحي فريد، ومن هذا المنطلق فإنّ الله سـبحانه أيضاً يذكّر الإنسـان بنعَـم الله الظاهريـة والباطنيـة، الكلّيـة والجزئيـة، الفرديـة والاجتماعيـة كما في قوله تعـالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾. [البلد: ٨-١٠]

وقولـه تعـالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً * وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً * وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً * وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً ﴾. [النبأ: ٦-١٦]

وقولـه تعـالى: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾. [الكهف: ١٨]

فلو لم يكن التقلب إلى اليمين والشمال حين النّوم، فإنّه يبتلي الإنسان بالشلل النصفي، فمثل هذه النعم عندما يذكّر بها الإنسان أو يتذكّرها هو بنفسه أو يذكّر بها الآخرين، فإنّه تلين القلوب حينئذٍ ويزداد حباً لله سبحانه، وإنّ وجدانه وضميره يؤنبه لو لم يشكر صاحب النعّم، فإنه من يهدي إليك وردة، فإنّك لا محالة عقلاً ونقلاً وعقلائياً ووجداناً تشكره على ذلك، فما بالك بالله الذي أنعم عليك بما لا يقاس بالوردة بنعم عظيمة وجسيمة لا تعدّ ولا تحصى، فهل بعد هذا يمكن لواحد منّا أن يتهاون بصلاته؟!

قاتـل الله الإنسـان فما أكفـره، ومـا أكـثره وقاحـةً، فـإنّ الكلب لو ألقى إليه عظمٌ، فإنّه يحرك ذنبه شـاكراً، فهل يصل بالإنسـان الذي هو أشـرف المخلوقات أن يكون كالأنعـام بـل أضل سـبيلاً، فما هـذه الغفلـة والغفلات: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ

آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾. [الأعراف:١٧٩]

ومن الناس كبلعم ابن باعورا وإن كان عالماً بل يعرف الاسم الأعظم إلاّ أنّ حبّ الدنيا أخذ بقلبه، وحبّ الدنيا رأس كل خطيئة، فمثّله القرآن الكريم بالكلب قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾. [الأعراف:١٧٦]

فمن يرضى لنفسه ولأحد من أقربائه أو أصدقائه أن يكون كالكلب؟! فمن يكذب بآية الصلاة الكبرى فإنّه كالكلب إنّ تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث فكيف تعيش الزوجة المؤمنة المصلية مع زوج لم يصل أي مع كلب وكيف للزوج أن يعيش وينام مع كلبة لم تصلّ؟!

ثانياً: ذكر أسرار وفوائد الصلاة

أن نذكّر أنفسنا ونذكّر الناس بأسرار وفوائد الصلاة، فإنّها بالعشرات بل بالمئات، وقد ذُكِرَتْ جملة من فوائد الصلاة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام المستفيضة التي وردت في كتب مدرسة أهل البيت عليهم السلام وأبناء العامة.

والمثال المحسوس من باب تشبيه العقول بالمحسوس لمن يعرف أسرار الصلاة ومنافعها فإنه يشتاق إليها أكثر فأكثر، كالبصل فإن الطفل يرميه جانباً ولا يرغب إليه، ولكن والده يشتريه من السوق ويحمله إلى أهله لأنه يعرف نفع البصل وسرّه وفوائده.

فمن جهل قيمة الصلاة، لا يتفاعل معها ويرميها وراء ظهره ولكن من عرفها ورأى جمالها وجلالها وكمالها، فإنّه يفدي نفسه من أجلها، بل يقيمها حتى في أحلك الظروف ولو كان في حال الغرق وبين الموت والحياة، ولو كان في ساحات الحرب والقتال وتأتيه السهام والنّبال كما أقامها سيد الشهداء مولانا الحسين بن علي عليهما السلام في يوم عاشوراء والسّهام تترى عليه وأصحابه حتى سقط شهيداً من كان ترساً ودرعاً له.

وكان الإمام الحسين روحي له الفداء يقول: «إنّ الله يعلم أني أحبّ الصلاة»، فأقامها عليه السلام ولو في ميدان القتال.

فمن يقتدي به وكان حسينياً حقيقة فإنّه لا يترك صلاته مطلقاً، لأنها لا تترك على أي حال، فإنّها عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها وإن ردّت ردّ ما سواها.

ثالثاً: كيفية صلاة الأبوين

لو كان الوالدان يصليان بكل آداب واحترام للصلاة، كما لو تزينت الأُم مثلاً لصلاتها بزينة الصلاة وحجابها، فإنّ الفتاة تتأثر بذلك، وتتأسى حينئذٍ وتقتدي بأُمها في إقامة الصلاة، وهكذا المعلم بالنسبة إلى تلامذته ومدير المعمل بالنسبة إلى عمّاله، والمدير في الإدارة بالنسبة إلى الموظفين، وقائد الجيش بالنسبة إلى جنوده وعسكره.

وهذا من أفضل مصاديق التّعاون على البّر والتّقوى كما قال سبحانه: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى ﴾. [المائدة:٢]

ومن التعاون الإسلامي تجهيز المكان المناسب للصلاة، كالمسجد والمصلّى في كل مكان، حتى في الدار، فإنه يستحب للمصلي أن يتخذ من بيته وداره مكاناً لصلاته، ثم يأخذ زينته عند كل مسجد ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾. [الأعراف:٣١]

وكان الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتزّين لأصحابه، كما كان أربعة من الأنبياء والأولياء من خدمة المسجد، وهم إبراهيم الخليل وإسماعيل الذبيح وزكريا من الرجال، ومريم العذراء من النساء، فلابّد حينئذٍ من مشوقات وجاذبيات لدعوة الناس إلى الصلاة ولاسيما الشباب، وهذا من التبشير والبشارة وأنّ رسول الله كان مبشراً ونذيراً.

نعم ربّ ضال ومضل لا ينفعه الكلام ولا يؤثر فيه المشوقات والبشائر، لأنه مستكبر ومعاند وكان ممّن قال عنهم سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لاَ



﴿يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ .[آل عمـران:٣٢]

وقـال تعـالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ .[هـود:٣]

وقـال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ .[هود:٥٧]

وقـال تعـالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ .[النـور:٥٤]

إذن: الناس في دعوتهم إلى الصلاة على صنفين:

إمّا أنّه نائم ونريد إيقاظه، فمنهم من يستيقظ بنداء واحد وبأول نداء، ومنهم من يستيقظ بأكثر من ذلك، هذا فيما إذا كان نائماً حقيقية.

وإمّا من يتمثّل بالنوم ولا يريد أن يستيقظ عناداً، فإنّه لو ناديته مئات المرات لا يجيب ولا يستجيب.

فمن كان هكذا لا تنفعه الموعظة والنصيحة فهو ممن تولّوا، ولكن معذرة إلى الله نقدّم النصائح ولإتمام الحجة.

فالصلاة ثقيلة وكبيرة إلاّ على الخاشعين، ومن كان ليّن القلب وعالماً بنعم الله سبحانه، كما كان عارفاً بفلسفة الصلاة وحكمها وفوائدها وأسرارها في الفرد والمجتمع، في الدنيا والآخرة، فإنّه يكون في الصراط المستقيم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً في الدنيا والآخرة.

وأمّا من قسى قلبه وخشن وكان كالحجارة أو أشد قسوة من كثرة الذنوب والمعاصي ومن دون توبة واستغفار، فإنّه من الصعب أن ينقاد إلى الصلاة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ .[الـروم:١٠]

فعلينا أن لا نيأس من روح الله ورحمته، فإنّه يهدي من يشاء وإنّه مقلّب القلوب، وقلب المؤمن بين يدي الرحمن جلّ وعلا، فعلى الإنسان أن يدعو إلى سبيله ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وعلى الإنسان أن يدعو كل من يعرفه إلى إقامة الصلاة بالنحو المطلوب، كما أنه يزداد في معرفتها وإقامتها مثلما أقامها أولياء الله به حقّ معرفته.

رابعاً: التخويف من العقوبة

إحدى الطرق الأخرى استخدمها القرآن الكريم في دعوة الناس إلى الصلاة هو الإنذار والتخويف، فذكّر عزّ وجل من لم يصل أو يتهاون بصلاته بعذابه في قوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ .[المدثر:٤٢]

وسقر طبقة من طبقات جهنم في يوم القيامة، فالملائكة تسأل من كان فيها: لماذا أنتم في سقر؟، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ .[المدثر:٤٣]

وقد ورد في الحديث الشريف: «لا يكونن المحسن والمسيء عندك سواء».(نهج البلاغة:٤٣٠)

فتارة بالبشارة والقول اللّين والتشويق ندعو الناس إلى الصلاة، وأخرى بالإنذار والتخويف، قوله تعالى: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ .[التوبة:٧٣]

وإنه يضرب لمن ترك صلاته.

فالعاقل الحكيم والعادل، والراعي المبلّغ والناجح من يضع الأشياء في موضعها فبعض بالبشارة وبعض بالإنذار، فلابّد من تشخيص دقيق ورزانة موضوعية وميدانية والله من وراء القصد.

السيد عادل العلوي



الوقت مخلوق عجيب

إنّ موضوع الوقت في القرآن الكريم له أهمية كبيرة وعظيمة في تاريخ البشرية بشكل عام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص.

حيث إنّ الوقت يمثّل البُعد الرابع عند علماء الفلك والفيزياء، ولما كانت الأبعاد الثلاثة والتي هي تمثل (الطول والعرض والارتفاع) وهذه كلها مخلوقة من قبل العليم الخبير جلّ جلاله كذلك فإنّ البُعد الرابع (الوقت) أيضاً هو مخلوق.

فهو يمثّل أعجب الخلائق والذي يدل على براعة الصانع والخالق حيث إّ الوقت أو الزمان قد حيّر جميع العلماء في الماضي وفي الحاضر وكذلك فهو يحيرهم في المستقبل وخاصة بعد أن وضع أنشتاين نظريته المعروفة (النظرية النسبية).

إنّ العلاقة بين الزمان والمكان هي علاقة ترادف وتلاصق فلا يمكن الفصل بينهما فأينما وجد المكان وجد الزمان، والوقت الخاص به لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾. [يونس:٦]

الوقت وأهميته

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الوقت من شروط الصلاة وفي مقدّمتها لما له من أهمية كبيرة بالنسبة للمكلف البالغ العاقل في ضبط مواقيت الصلاة اليومية الواجبة وفي ضبط صلاة الطواف للحج والعمرة وكذلك ضبط صلاة الآيات والصلاة المستحبة مثل نافلة الليل ونافلة الصبح وصلاة الغفيلة وغيرها، حيث إنّه سبحانه وتعالى ربط وقت الصلاة بالقبلة أي بالمكان الذي يجب على المكلف أو المصلّي أن يتجه إليه.

وهناك الكثير من الآيات التي تشير إلى فرض الصلاة على الإنسان المسلم منها:

قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾. [الإسراء:٧٨]

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾. [هود:١١٤]

أما بالنسبة إلى الصوم فقد قسّمه علماء الفقه من حيث حكمه إلى أربعة أقسام:

واجب.

مستحب.

مكروه.

محضور.

ولكل واحد منها وقت مرتبط به ارتباطاً وثيقاً، فمثلاً:

صوم شهر رمضان هو (واجب) ووقته معلوم للمسلم.

أما صوم الليالي الثلاث والمعروفة بالليالي البيض من كل شهر هو (مستحب) ووقته معروف أيضاً.

وصوم الزوجة بغير إذن زوجها إن كان مستحباً فهو (مكروه) وهذا أيضاً وقته معلوم.

أما صوم المسافر في شهر رمضان فهو (محضور) ووقته معلوم.

إنّ الإرادة الإلهية في جعل هذا الارتباط الوثيق والعلاقة بين الوقت والصلاة والصوم من واجب ومستحب يرى الباحث في حكمتها وجهين والعلم عند الله تعالى، حيث ما أتى به الإنسان من العلم إلا القليل بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾.[الإسراء:٨٥]

الوجه الأول

إنّ الحكمة الإلهية تريد من العلم أن يكون على اتصال مباشر مع الله وعلى مدى الأوقات والأزمان فالوقت يربط العبد بالمولى ارتباطاً وثيقاً عَبر الصلاة والصوم والعبادات المفروضة.

على سبيل المثال إذا أسقط وقت من أوقات الصلاة، يعني أسقطت صلاته، والنتيجة هي إسقاط فرض من الفرائض مع الصلاة، ماذا يحدث للعبد؟

يحدث خللٌ في العلاقة الرابطة ما بين العبد ومولاه، لأنّ إسقاط فرض بوقته هذا يعني الابتعاد بالوقت بين الفروض الأخرى، مما يؤدي بالعبد إلى الابتعاد في مجاورة المولى خالقه، قال تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾.[ق:١٦]

ونعني بالمجاورة بنوعين الأولى في الدنيا هي مجاورة الخالق للعبد والثانية في الآخرة هي مجاورة العبد للخالق.

ففي الأولى الإنسان مخير في حياته العلمية إن شاء ينسفها أو يبقى على هذه المجاورة، .أما الثانية فلا خيار له فيها.

قال أحد المفكرين (إنّ طبيعة النفس البشرية قائمة على أساس التفاهم بين نزعة الخير ونزعة الشر والإنسان مسيّر ومدفوع بظرفه في أغلب الأحيان).(مهزلة العقل البشري، علي الوردي)

فالصلاة والصوم هي من الفرائض التي جعلها الله تعالى للفرد المسلم لأنّه تعالى قد خلق هذه النفس البشرية وهو يعلم ما يدور فيها من صراعات ونزعات وشهوات وما فيها من البداوة الحقيقية السلبية والتي جلبها الإنسان لنفسه بيده ولذلك لطمعه في حب الدنيا والحياة، قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾. [الشمس:٧-٨]

حيث إنّ الله تعالى قد جاور النفس البشرية بقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾.

والنفس البشرية لا تريد ذلك لما فيها من تلك الصراعات ونزعات وشهوات والبداوة الحقيقية السلبية، ولكي لا يكون للعبد حجة على المولى تعالى فجعل له الصلاة بأوقات محدودة ودقيقة وهي لدى العبد معلومة ومعروفة فإسقاط أي فرض بوقته يعني قد أعطيت طاقة كبيرة وجيدة إلى نزعة الشر في النفس البشرية وبالتالي تستطيع أن تتغلب على نزعة الخير بسهولة ودليل الباحث على ذلك هو أنّ نزعة الخير في الفرد المسلم بالصلوات الخمس وأوقاتها تغلب على نزعة الشر خلال حياته بشكل كبير وكثير.

الوجه الثاني

إنّ الحكمة الإلهية تريد من العبد المسلم أن يكون مطيعاً للمولى تعالى من خلال التزامه بالصلاة ووقتها واحترامه لهما يعني احترام المولى، فالمولى أراد من العبد أن يلتزم ويحترم هذا المخلوق العجيب (الوقت) غير فرض الصلاة ولكي يكون منظماً في حياته العملية الدنيوية ولا يكون فوضوياً وتعم الفوضى حياته، فإسقاط أي فرض يعني إسقاط جميع الفرائض وأوقاتها عندئذ يصبح المكلف في فوضى عارمة فإطاعة العبد المكلف للمولى تعالى في وقتها وهي الطاعة التي يعكسها على أُسرته والأُسرة تعكسها على المجتمع والمجتمع يعكسها على الأُمة.

أنواع الوقت في القرآن الكريم

لقد بيّن الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الوقت على نوعين:

الوقت المباشر

ذكر القرآن الكريم هذا النوع من الوقت بصورته المباشرة وهنالك العديد من الآيات التي وردت في ذلك منها:

قوله تعالى: ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ . [القدر:٣]

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ . [الكهف:١٩]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ .[الكهف:٢٥]

قوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ . [الفرقان:٥٩]

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ .[الحج:٤٧]

الوقت غير المباشر

لقد ذكر القرآن الكريم هذا النوع من الوقت بصورته الغير مباشرة وهنالك العديد من الآيات تذكر هذا النوع منها:

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ . [الإسراء:٨٠]

وقال تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ .[البقرة:٢٣٨]

قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ .[النمل:٣٨-٣٩]

وقال تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ .[الإسراء:٧٨]

المقصود في القرآن الكريم قد يكون فيه الإشارة إلى مكان ما، أو إلى سرعة خاصة، أو الإشارة إلى مدة زمنية استغرقت أو قد تستغرق.

فمثلاً في سؤال نبي الله سليمان على نبيّنا وآله وعليه السلام عندما سأل الخلائق التي سخرها الله تحت أمره من الإنس والجان والحيوانات وغيرها في زمانه فسألهم:

﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ . [النمل:٣٨]

حيث طلب منهم أن يأتوه بعرش الملكة بلقيس بأسرع وقت، وهنا ما دام قد طلب السرعة في المسافة فإنّ الوقت يكون أقصر مما هو عليه.

حيث حسب قانون السرعة في الفيزياء في العصر الحديث والذي ينص على أنّ

السرعة = (المسافة على الزمن)

أي أنّ السرعة تتناسب عكسياً مع الزمن وطردياً مع المسافة حيث كلما زادت السرعة قلّ الزمن.

لذلك فإنّ نبي الله سليمان على نبيّنا وآله وعليه السلام قال قبل أن يأتوني مسلمين وحيث إنّه اختار الذي عنده علم من الكتاب ولم يختر عفريت الجن والسبب في ذلك هو أنّ، الذي عنده علم من الكتاب أسرع من عفريت الجن، ذلك أنّ ارتداد طرف العين أسرع وأقل زمناً من قيام نبي الله سليمان على نبيّنا وآله وعليه السلام من مقامه.

الوقت في ليلة الإسراء والمعراج ونظرية أنشتاين

ورد في القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .[الإسراء:١]

إنّ في هذه الآية قد لعب الوقت دوراً مهماً حيث يبيّن الله تعالى أنّ الوقت:

أولاً: مخلوق.

ثانياً: لكل عالم مرحلة ووقت وزمان خاص به.

ثالثاً: إنّ الوقت يمكن أن يكون سالباً وموجباً.

ومن خلال ذلك للباحث رأي في هذا الصدد وما توفيق الباحث إلاّ بالله.

أولاً: الوقت هو البعد الرابع

بيّنا أنّ الوقت هو البعد الرابع وهو مخلوق حاله حال الأبعاد الثلاثة الأُخرى ومدى التصاقه بالمكان، حيث لا وجود للمكان دون الزمان مطلقاً.



ثانياً: مراحل الزمن وعوامله

إنّ الزمن يمر بمراحل ابتداءً منذ بدأ الخليقة والكون إلى يومنا هذا حيث إنّ الزمان له ظرف خاص وهذا الظرف يكون ملائماً له بطبيعة الحال وكذلك يكون الزمان ملائماً للمكان وطبيعته ولكل عالم زمان خاص به والظروف المختلفة الملائمة لهذا العالم.

فينقسم الوقت حسب (المراحل أو العوالم) التي تمرّ على الإنسان إلى ما يلي:

أولاً: مرحلة عالم الأرحام

هذه المرحلة تبدأ منذ التقاء الحيمن من الذكر مع البيضة من الأُنثى وتكوين البويضة المخصّبة حيث يبدأ عندها الوقت بالعد إلاّ أنّه لا محسوبية له ذلك لأنّ لا روح فيه كونه عبارة عن مادة لا روح فيها، فيبدأ الوقت ومحسوبيته وأهميته ما بعد بث الروح في الجنين أي بعد أربعة أشهر بالنسبة للإنسان ولأجل ذلك حرّم الله قتل الجنين وهو في رحم أُمّه بعد أربع أشهر وذلك لدخول الروح في الجنين ويبدأ الوقت والزمان في المحسوبية لأهميته.

إذن يصبح الوقت بلا محسوبية ولا قيمة له بالنسبة للإنسان إذا كان مادة بلا روح.

ويصبح الوقت بمحسوبية وقيمة له إذا كان (مادة+روح).

أقول: هذه المرحلة أي (مرحلة الأرحام) لها زمن خاص يبدأ من التقاء (الحيمن بالبيضة) حتى خروج الجنين من بطن أُمّه إلى عالم آخر ما يسمّى عالم (الدنيا)، إذن أصبح هناك مرحلة أو عالم له زمن خاص بحدّ ذاته.

ثانياً: مرحلة عالم الدنيا

وهذه المرحلة تبدأ من اللحظة التي يخرج فيها الجنين من بطن أُمّه حيث يبدأ بها الوقت في هذه المرحلة حتى آخر لحظة في حياة ذلك الجنين حيث ينتهي معها الوقت وهذه المرحلة تكون بالترتيب الآتي:

١. مرحلة الرضاعة.
٢. مرحلة الطفولة.
٣. مرحلة المراهقة.
٤. مرحلة الشباب والقوة.
٥. مرحلة الرجولة.
٦. مرحلة الكهولة والهرم.
٧. مرحلة أرذل العمر.

فمما يلاحظ في المرحلتين (الأرحام والدنيا) أنّ الوقت في المرحلتين متداخل وبالحساب والقياس نفسه، فهي أثناء الوجود والحياة الدنيا أما مرحلة ما بعد الدنيا وهي بعد الموت وخروج الروح عن جسد الإنسان فهو كالآتي.

ثالثاً: مرحلة عالم البرزخ

أما في هذه المرحلة فالوقت يبدأ منذ اللحظة الأُولى التي تنتزع الروح من جسد الإنسان حيث يكون للوقت والزمن حساب ومقياس لا نستطيع أن نحسبه أو نقيسه بآلة معينة ولأسباب عديدة، أهمها أنّه لا يوجد بيننا من الناس من مات وعاد إلينا بعد موته ليخبرنا عما شاهد في ذلك العالم المجهول واستطاع أن يحسب ويقيس الزمن والوقت حيث ينتهي هذا العالم بمرحلته عند الدخول في مرحلة أُخرى وهي مرحلة الخروج من الأجداث، أي مرحلة الحساب ويوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾.[يس:٥١]

علماً بأن عالم الدنيا يمر بمرحلتيه (الأرحام والدنيا) متداخل مع عالم البرزخ كون عالم الدنيا يسير بوقته على الأحياء وعالم البرزخ يسير بوقته مع الأموات، لكنّ هناك اختلاف بين زمن الدنيا ووقته وبين زمن البرزخ ووقته.

رابعاً: مرحلة عالم القيامة

وهذا اليوم يمرّ ويحسب فيه الوقت ولكن لا أحد يعلم متى يبدأ هذا اليوم ومتى ينتهي وكيف يكون الوقت وكيف يحسب وبأي حساب وآلة.

خامساً: مرحلة عالم اليوم الآخر

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾.[الطلاق:٢]

هذا العالم كله جعله الله سبحانه وتعالى بيوم وقد سمي هذا اليوم (الآخر) ولا نعلم متى يبدأ هذا اليوم ومتى ينتهي وكيف يكون فيه الوقت وكيف يكون حسابه والآلة التي يتم فيها محاسبة الوقت هناك.

نستخلص من ذلك بأنّ الوقت يسير على الإنسان في جميع مراحله وفي جميع أزمانه وإن اختلف من مرحلة إلى أخرى وكذلك وإن اختلفت طريقة وكيفية حسابه والآلة التي يقاس بها ولكن النكتة المهمة هي، أنّ الوقت مخلوق قد جعله الله تعالى في الكون بأجمعه وباختلافه في جميع مراحله فإنه (لا يتوقف أبداً) إلا في حالة واحدة فقط قد ذكرها القرآن الكريم وعند توقفه يقف بذلك الزمان بأسره وهذه الحالة هي عند دخول المرء إما إلى الجنة أو دخوله إلى النار (والعياذ بالله) حيث قال تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.[البقرة:٨١-٨٢]

وهنا عندما يأتي القرآن الكريم بكلمة (خالدون) أي ما يفهم منه حالة الاستقرار والثبات والتي تحصل للإنسان بعد دخوله إلى (الجنة أو النار) حيث سبقتها حالة مرور الإنسان بجميع تلك المراحل التي مرّ بها من عالم الأرحام والدنيا والبرزخ والقيامة والآخرة حتى وصل إلى (الخلد).

أي أن كلمة (خالدون) قد تدل على توقف الوقت لأنّ وجود الوقت لا معنى له بعد عملية الدخول والإذن بها والله لم يخلق شيئاً عبثاً أو لعباً.

بالإضافة إلى ذلك بما أنّ الوقت أيضاً من المخلوقين، فلابد أن تجري على المخلوق ما أمره القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.[الرحمن:٢٦-٢٨]

فلما كان المكان قد فُني فالزمان كذلك يفنى بكلمة (خالدون).

النتيجة

إنّ الكون بأسره وبجميع مخلوقاته وأوقاته وعوالمه قد خلق بكلمة واحدة من الله عزّ وجل وهي (كن فيكون) وخلقه تعالى للوقت والزمان فهو يسري على الإنسان والمخلوقات الأخرى ولا يسري على الله جلّ وعلا، فالمخلوق لا يسري على خالقه.

سؤال

هناك آية تدل على بدء الخلق في ستة أيام في القرآن الكريم وكذلك فإن كتب التوراة والإنجيل تحدّثت أيضاً عن بدء الخلقة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤]،فما تفسير هذا الوقت؟

الجواب

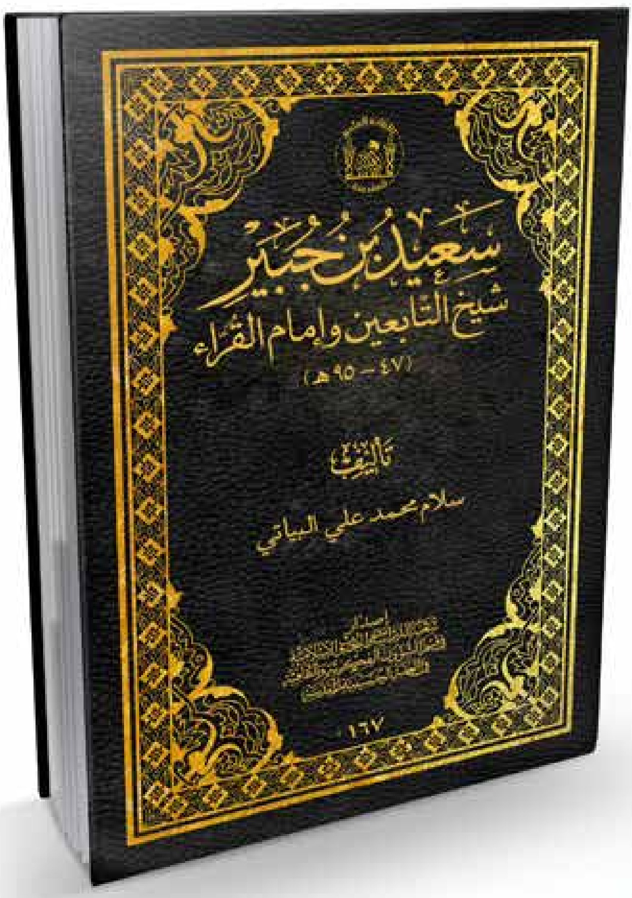
إنّ هذه الأيام والأوقات التي تم ذكرها في القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى تبيّن الأوقات والأيام والزمان في حساب المخلوق وليست في حساب الخالق، والدليل كون المخلوق لا يسري على الخالق والمخلوق له زمان ومكان والخالق لا زمان له حيث لا مكان يحدده إطلاقاً.

بقلم: سعد محسن خميس



روى الحمويني بإسناده عن أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «لمّا خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمنة العرش، فإذا في النور خمسة أشباح سجّداً وركّعاً، قال آدم: يا رب هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: لا يا آدم قال: فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك، لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي، لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجنّ، فأنا المحمود وهذا محمّد، وأنا العالي وهذا عليّ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة وأنا الإحسان وهذا الحسن وأنا المحسن وهذا الحسين، آليت بعزتي أنه لا يأتيني أحد بمثقال ذرّة من خردل من بغض أحدهم إلا أدخلته ناري ولا أُبالي، يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي بهم أُنجي وبهم أُهلك، فإذا كان لك إليّ حاجة فبهؤلاء توسل، فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: نحن سفينة النجاة من تعلّق بها نجا ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت» (فرائد السمطين، ج١ ،ص٣٦).

صدر حديثا
من شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الحسينية المقدسة





للحصول على النسخة
الرقمية للمجلة
امسح هذا الكود

■ **تعلن إدارة مجلة الوارث عن استقبال البحوث والمقالات العلمية والإسلامية لنشرها ضمن أعداد المجلة، علماً أن المقالات ستخضع للتقييم العلمي.**

يرجى ارسال الاعمال على البريد الالكتروني التالي:

Email: dirasatislamia@gmail.com